الدين والدجل

(٨)

ورثة إبليس

قصص تصور إلغاء السلفية للآخر وتكبرهم عليه

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

هذا الكتاب

ورثة إبليس هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بل احتكار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية التي ورثوها من إبليس يجلسون على عروشهم الشيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبدعون ويضللون.. ثم يفتون الفتاوى الخطيرة التي ملأت أنهار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم دمارا وخرابا.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فإن [السلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطيرة: أنا خير منه.. مرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم، وفي كل حين، ومع كل الناس.. بل إنهم لا يتعاملون مع العالم إلا من آفاق هذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل، كما تصور إبليس أنه عاقب آدم بعدم السجود له.

الدين.. والدجل

(١٣)

ورثة إبليس

قصص تصور إلغاء السلفية للآخر وتكبرهم عليه

د. نور الدين أبو لحية

www.aboulahia.com

الطبعة الأولى

١٤٣٦ — ٢٠١٦

دار الأنوار للنشر والتوزيع


بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

المقدمة

من القصص التي لها تأثير عرفاني وسلوكي كبير في القرآن الكريم قصة آدم عليه السلام، ورفض إبليس السجود له، وتوعده بإخراجه من الجنة، وتوعده بإضلال ذريته..

فتلك القصة تعيدنا إلى حقيقتنا، وسر هبوطنا إلى الأرض، وسر العدو الأكبر الذي يتربص بنا، ويريدنا ألا نعود إلى الجنة التي خرجنا منها..

وللأسف فإننا كثيرا ما ننسى هذه القصة رغم ورودها مرارا في القرآن الكريم، وننسى معها إبليس، وننسى معها وعيده، وننسى معها الجنة التي خرجنا منها، ووعدنا الله أن نعود إليها، وتوعدنا إن انضممنا إلى حلف إبليس أن نحشر معه، ونلعن معه.. لأننا وضعنا قصصا أخرى، وأعداء جددا، وأعطينا إبليس الكثير من الحق من حيث لا نشعر حين اعتبرنا السجود ومعه كل سلوك تعظيمي نوجهه لأولياء الله شركا وضلالا وكفرا..

والأخطر من ذلك كله هو أننا نسينا في خضم ذلك الجدل الكبير الذي ملأ حياتنا بالعبث أننا يمكن أن نتحول إلى أبالسة صغارا أو كبارا.. لأن الإبليسية لا تقتصر على فرد من أفراد الجن عارض ذات يومه ربه العظيم.. وإنما الإبليسية سلوك ينبع من أمراض باطنية خطيرة تنطلق من إلغاء الآخر والتكبر عليه وممارسة كل أنواع الأذى له.

فجريمة إبليس الكبرى لا تكمن فقط في ذلك الموقف الذي وقفه يوم طلب الله تعالى منه السجود لآدم، وإنما تكمن في تلك النفسية المستكبرة المستعلية الحاقدة التي فضحها يوم السجود، وأخرج ما في سرائرها من أنواع الحقد والكبر والاستعلاء.

جريمة إبليس الكبرى هي مقولته الخطيرة: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، والتي تمثل الاستعلاء في أعلى درجاته.. ذلك أن الذي يحدد الخيرية هو الله.. وليس لأحد من الناس أي كان أن يطغى ويستعلي، ويقول لغيره: أنا خير منك.. وإلا كان مصيره مصيره إبليس.. بل هو في الحقيقة ليس سوى جندي من جنوده،

ووارث من ورثته.

فوراثة إبليس هي وراثة ذلك الاستعلاء والكبر الذي ينشأ عنه إلغاء الآخر وتحقيره والتهوين من شأنه.

وقد كان للشيطان في كل ملة من الملل، أو أمة من الأمم ورثة ورثوه في هذا الجانب.. وكان أولئك الورثة هم مشعلو الحروب ومثيروا الفتن..

ولا تختلف هذه الأمم عن تلك الأمم جميعا.. فللشيطان حظه منها.. وله ورثته فيها.. وأول ورثته هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بل احتكار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية التي ورثوها من إبليس يجلسون على عروشهم الشيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبدعون ويضللون.. ثم يفتون الفتاوى الخطيرة التي ملأت أنهار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم إلى دمار وخراب.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فإن [السلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطيرة: أنا خير منه.. مرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم وفي كل حين ومع كل الناس.. بل إنهم لا يتعاملون مع العالم إلا من آفاق هذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل..

انطلاقا من هذا تحاول هذه القصص أن تصور مشاهد لهذا الاستعلاء والتكبر، لتوضح بعض الحقائق التي لم تطق كتبنا الأخرى من هذه السلسلة توضيحها..

فهذا الكتاب هو عبارة عن مشاهد درامية مؤلمة تصور ما ذكرناه في كتابنا [كلكم كفرة] وغيره من الكتب التي ملأناها بالأدلة العلمية الكثيرة على هذا التجبر والطغيان

السلفي.

وقد حاولنا في هذه القصص العشرة أن نضع في كل قصة مشهدا من المشاهد المرتبطة بالقضايا المختلفة.. وكلها تتفق على شيء واحد، وهو تصوير الاستعلاء الديني أو الوراثة الإبليسية.

طائفيون حتى النخاع

لم أكن أظن في يوم من الأيام أن هذا الدين العظيم الذي جعله الله صمام أمان هذه الأمة، وحافظ وحدتها، وموجه مسيرتها، ومصدر حضارتها يتحول بأيدي بعض الناس إلى وسيلة للتفرقة والتشتت والتوحش والأحقاد إلى أن جاء ذلك اليوم الذي أراد الله فيه أن يكشف لعيني هذه الحقيقة، لأراها عيانا، وليس الخبر كالعيان.

في ذلك اليوم أدركت سر قوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، وأن من معانيها الكبرى أن حقائق هذا الدين التي تمثلت في القرآن الكريم لا يمكن أن يستوعبها أو يدركها إلا من طهر باطن من كل كبر يصرفه عن الحق، أو غروره يبعده عنه.

وفي ذلك اليوم أيضا أدركت سر قوله تعالى في أول سورة البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، والتي تشير بوضوح إلى أن الهداية الإلهية محصورة في الأتقياء الذين صفوا بواطنهم من الأحقاد والضغائن كما صفوا ظواهرهم من الصغائر والكبائر.

وعرفت كذلك سر قوله تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، وأن المراد منها هو حجاب المتكبر.. كل متكبر عن فهم آيات الله، أو إدراك أسرارها.. فالكبر هو الحجاب الأعظم الحائل بين العبد وربه، كما أنه الحجاب الحائل بين العقل وتلقي الحقائق الإلهية.

في ذلك اليوم حضرنا إلى المجلس العلمي لوزارة الأوقاف في بلد لا أسميه، ولكنه قد يكون أمثاله موجودين في كل الأقطار الإسلامية.. وكان الملف المطروح للمناقشة حينها هو النظر في تزكية شخص واحد لحضور مؤتمر دولي للتعريف بالأديان العالمية الكبرى.. بالإضافة لتوليه عضوية مكتب تابع للأمم المتحدة، يكون كمستشار لها في التعريف

بالإسلام، وبكل ما يتعلق من قضايا ترتبط به.

وقد اختيرت تلك الدولة خصوصا لما لها من أهمية ودور وتأثير في جميع بلاد العالم الإسلامي.. إضافة لما عرفت من أحداث تاريخية كثيرة مرتبطة به.

وقد حصل للهيئة قبل ذلك الكثير من المشاكل بسبب الفوضى التي تحصل في تلك الدولة بسبب الشخصيات التي توظفها.. ولذلك طلبت من المسؤولين أن يتولوا هم اختيار الشخصية المناسبة لتولي ذلك المنصب الحساس..

ولعلم المسؤولين أن أسباب كل الفوضى التي تحصل ترجع إلى بعض المتدينين المتشددين الذين استطاعوا بما لديهم من وسائل أن يشعلوا نيران الفتن متى شاءوا، وأن يخمدوها متى شاءوا.. لعلمهم بهذا طلبوا من الهيئة أن تذهب إلى وزارة الأوقاف وإلى مجلسها العلمي..

واجتمع المجلس في ذلك اليوم.. وتقدم مندوب هيئة الأمم المتحدة، وقال: لدي عشرة أسماء لتنظروا فيها.. فمن ترونه أهلا لذلك نصبناه في ذلك المنصب الخطير الذي ذكرته لكم.

قال أحد الحاضرين: أليس من الأجدى أن نقترح نحن الأشخاص الذين يمكن أن يتولوا هذا المنصب؟

قال المندوب: لا.. ليس هذا من عرفنا.. فلدينا مواصفات كثيرة في الأشخاص الذين نوليهم مثل هذه المناصب.. ولذلك لا مناص لكم من اختيار واحد من هؤلاء.. وإلا فسنضطر إلى ترك مكتبكم فارغا.. وستحرمون من حصتكم من المؤتمر الدولي الكبير.

قلب بعض الأوراق أمامه، ثم قال: لا تخافوا.. فكل الشخصيات المقترحة شخصيات علمية، وذات بعد ديني، ولها تاريخ محترم.. بالإضافة إلى ما لديها من الخبرات.. لا تخافوا فقد أخذنا كل ما يخطر على بالكم بعين الاعتبار.

لم يكن مندوب الأمم المتحدة يعرف ما يخطر ببالهم لذلك جازف تلك المجازفة..

وابتدأ الانتقاء.. وابتدأت معه نيران الأحقاد والضغائن التي لبست لبوس الدين، والدين منها براء.

المعتزلة:

ذكر لهم الشخص الأول، وقال: هذا عالم جليل، له سيرة ذاتيه محترمة، بالإضافة إلى التزامه الديني الشديد، فأرجو أن توافقوا عليه.. فهو في غاية الصلاح والتقوى.. وله تفسير للقرآن الكريم غاية في الجمال، اعتنى فيه ببيان وجوه الإعجاز القرآني، وإظهار جمال نظمه وبلاغته[1]..

قام أحد الحاضرين، وقال ـ صارخا ـ: عرفنا من تقصد.. وهو لا يصلح لذلك المنصب.. ألم تلتفت إلى تلك العقائد العقلانية التي حشا بها تفسيره، والتي هي أقرب إلى الكفر منها إلى الإيمان؟

قال آخر: أجل.. بالإضافة إلى شدته على الطائفة الناجية، فهو يذكرهم بعبارات الاحتقار، ويرميهم بما ليس فيهم، وذلك بالأوصاف المقذعة، ويمزج حديثه عنهم بالسخرية والاستهزاء، ألم تقرؤوا قوله في بعض أشعاره:

لجماعة سموا هواهم سنة وجماعة حمر لعمري موكفة

قد شبهوه بخلقه وتخوفوا شنع الورى فتستروا بالبلكفة

قال آخر: أجل.. وقد قلت في الرد عليه[2]:

---

(١) أشير إلى تفسير الزمخشري.

(٢) أصل الشعر لابن المنير الاسكندراني.

و جماعة كفروا برؤية ربهم　　هذا ووعد الله ما إن يخلفه

و تلقبوا عدلية قلنا أجل　　عدلوا بربهم فحسبهم سفه

و تلقبوا الناجين كلا إنهم　　إن لم يكونوا في لظى فعلى شفة

قال آخر: وباعتباري مفتيا.. فقد أفتيت بحرمة قراءة تفسيره قياسا على تحريم العلماء لتفسير الزمخشري الذي أعمته بلاغة القرآن عن حقائقه العقدية التي ذكرها السلف، فقد قال الذهبي: (محمود بن عمر الزمخشري المفسر النحوي صالح، لكنه داعية إلى الاعتزال – أجارنا الله– فكن حذرًا من كشافه)، وقال علي القاري: (وله دسائس خفيت على أكثر الناس؛ فلهذا حرم بعض فقهائنا مطالعة تفسيره؛ لما فيه من سوء تعبيره في تأويله وتعييره)

قال آخر: هل تعلمون بما فسر قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [القلم: ٤٢].. لقد فسرها بقوله: (يوم يشتدّ الأمر ويتفاقم، ولا كشف ثم ولا ساق، كما تقول للأقطع الشحيح: يده مغلولة، ولا يد ثم ولا غل، وإنما هو مثل في البخل)[١]

قال آخر: ويله.. ألم يبلغه أن المراد من الساق هو ساق الله سبحان هو تعالى.. وأنه يكشفها يوم القيامة ليتميز السني السلفي من البدعي الجهمي.. لقد قال شيخ الإسلام ردا عليه: (وقد يقال : إنَّ ظاهر القرآن يدل على ذلك من جهة أنه أخبر أنه يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود ، والسجود لا يصلح إلا لله)

قام آخر، وصاح بقوة: ألم تعلم أيها المغفل أن هذا الرجل من القائلين بخلق القرآن.. ألم تعلم ما قال سلفنا الصالح وخلفنا الفالح فيمن يقول بذلك.. لقد روي أن رجلا قال للإمام عبدالله بن إدريس: يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون: إن القرآن مخلوق، فقال: من اليهود؟ قال: لا. قال: فمن النصارى؟ قال: لا. قال: فمن المجوس؟ قال: لا. فقال:

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٤/ ٥٩٤).

فممن؟ قال: من الموحدين، قال: كذبوا هؤلاء ليسوا بموحدين، هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله مخلوق، ومن زعم أن مخلوق فقد كفر، هؤلاء زنادقة، هؤلاء زنادقة)[1]

وعن يحيى بن خلف المقرئ قال: أتيت الكوفة فلقيت أبا بكر بن عياش؛ فسألته: ما تقول في من قال: القرآن مخلوق؟ فقال: كافر، وكل من لم يقل: إنه كافر؛ فهو كافر. ثم قال: أيُشك في اليهودي والنصراني؛ أنهما كافران؟ فمن شك في هؤلاء أنهم كفار؛ فهو كافر، والذي يقول: القرآن مخلوق. مثلهما[2].

وعن يزيد بن هارون قال: من قال: القرآن مخلوق. فهو كافر، ومن لم يكفره؛ فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر[3].

وعن سفيان بن عيينة قال: القرآن كلام الله عز وجل؛ من قال: مخلوق. فهو كافر، ومن شك في كفره؛ فهو كافر[4].

قام آخر، وقال: ألا تعلم أيها الزنديق الحليق كيف وقف سلفنا الأول من أصحاب القلوب الطاهرة والعقول النيرة من ذلك المعتزلي الخبيث عمرو بن عبيد.. لقد ملأوا حياته عليه غصصا، حتى صار لا يطيق الخروج من بيته من كثرة تأليبهم العوام عليه.

لقد قال عبدالوهاب بن الخفاف: مررت بعمرو بن عبيد وحده، فقلت: مالك؟ تركوك؟ قال: نهى الناس عني ابن عون فانتهوا[5].

قام آخر، وقال: لم يكتف سلفنا الصالح بذلك، بل استخدموا كل ما لديهم من مكانة

---

(١) السنة، لعبدالله برقم ٢٩.

(٢) السنة لحرب الكرماني، ٣٧٥.

(٣) الإبانة ، ٢٥٧.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد ٢٥.

(٥) ميزان الاعتدال، ٣/ ٢٧٤.

لدى السلطان العادل ليقهروا سلف هذا الخبيث وينكلوا به، وقد حدث أبو علي البلخي قال: دخلت على أحمد ابن حنبل، فجاءه رسول الخليفة يسأله عن الاستعانة بأهل الأهواء ـ ويقصدون بهم كل المخالفين لهم، وخصوصا المعتزلة ـ فقال أحمد: لا يستعان بهم، فقال: يستعان باليهود والنصارى ولا يستعان بهم، فقال: إن النصارى واليهود لا يدعون إلى أديانهم، وأصحاب الأهواء داعية[1].

قام آخر، وقال: لقد انتقم سلفنا الصالح من المعتزلة بسبب ما فعلوه بإمامنا أحمد شر انتقام.. فقد قال الطبري: (وقد كان المتوكّل لمّا أفضت إليه الخلافة، نهى عن الجدال في القرآن وغيره، ونفذت كتبه بذلك إلى الآفاق، وهمّ بإنزال أحمد بن نصر عن خشبته، فاجتمع الغوغاء والرّعاع إلى موضع تلك الخشبة وكثروا وتكلّموا، فبلغ ذلك المتوكّل، فوجّه إليهم نصربن اللّيث، فأخذ منهم نحواً من عشرين رجلاً فضربهم وحبسهم، وترك إنزال جثّة أحمد بن نصر من خشبته لما بلغه من تكثير العامّة في أمره، وبقي الّذين أُخِذوا بسببه في الحبس حيناً... فلمّا دفع بدنه إلى أوليائه في الوقت الّذي ذكرت، حمله ابن أخيه موسى إلى (بغداد) وغسل ودفن وضمّ رأسه إلى بدنه)[2]

الأشاعرة:

بعد أخذ ورد طويلين، قال مندوب الأمم المتحدة: لا بأس.. ما دامتم قد اجتمعتم على عدم القبول بهذا الرجل.. فلننتقل إلى الشخصية الثانية..

قال ذلك، ثم ذكر لهم اسم الشخصية الثانية، وقال: هذا الرجل أيضا تتوفر فيه جميع المواصفات التي نحتاج إلى مراعاتها في مكاتبنا في الأمم المتحدة، بالإضافة لقدراته العلمية الهائلة، فله ثروة ضخمة من الكتب التي تناولت جميع القضايا المرتبطة بالإسلام..

---

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية ١/ ٢٥٦)

(٢) تاريخ الطبري: ج ٧، حوادث سنة ٢٣٧، ص ٣٦٨.

قاطعه أحد الحضور، وقال: بل له ثروة ضخمة من الدجل والتجهم والتعطيل..

ضحك الجميع، فاستأنف الرجل ـ وهو يصرخ بقوة ـ قائلا: كيف تريد منا أن نزكي رجلا ممتلئا بالبدع والأهواء.. ألا تعلم أنه أشعري جلد.. ألا تعلم أن الأشعرية ـ كما قال شيخنا شيخ الإسلام ـ ليسوا سوى مخانيث.. لقد قال فيهم بصراحته وشدته السلفية: (ولهذا كانوا يقولون إن البدع مشتقة من الكفر وآيلة إليه، ويقولون إن المعتزلة مخانيث الفلاسفة، والأشعرية مخانيث المعتزلة. وكان يحيى بن عمار يقول: المعتزلة الجهمية الذكور، والأشعرية الجهمية الإناث)[1]

وقال فيهم ابن القيم [2]:

ليسوا مخانيث الوجود فلا إلى ... الكفران ينحازوا ولا الإيمان

ويقول بلغة سنية سلفية[3]:

أهون بذا الطاغوت لا عز اسمه ... طاغوت ذي التعطيل والكفران

كم من أسير بل جريح بل قتيل ... تحت ذا الطاغوت في الأزمان

وترى الجبان يكاد يخلع قلبه ... من لفظه تبا لكل جبان

وترى المخنث حين يقرع سمعه ... تبدو عليه شمائل النسوان

ويظل منكوحاً لكل معطل ... ولكل زنديق أخي كفران

قال آخر: وقال فيهم شاعرنا الفحل الكبير أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، ٦/ ٣٥٩.

(٢) شرح قصيدة ابن القيم ٢/ ٢٠٣.

(٣) شرح قصيدة ابن القيم ٢/ ٣٢٠.

والآن أهجو الأشعري وحزبه ... وأذيع ما كتموا من البهتان
عطلتم السبع السموات العلا ... والعرشَ أخليتم من الرحمن
لأقطعن بمعولي أعراضكم ... ما دام يصحب مهجتي جثماني
ولأكتبن إلى البلاد بسبكم ... فيسير سير البزل بالركبان
يا أشعرية يا أسافلة الورى ... يا عمي يا صم بلا آذان
إني لأبغضكم وأبغض حزبكم ... بغضاً أقل قليله أضغاني
لو كنت أعمى المقلتين لسرني ... كيلا يرى إنسانكم إنساني
قد عشت مسروراً ومت مخفراً ... ولقيت ربي سرني ورعاني
لم أدخر عملاً لربي صالحـــــاً ... لكن بإسخاطي لكم أرضـاني

قام آخر، وقال: ليس ذلك فقط، بل قد أجمع سلفنا الأول على تكفير الأشاعرة، لأنهم جهمة زنادقة، وقد قال في ذلك فقيهنا السلفي الكبير ابن قدامة المقدسي، وهو يلمح إلى الأشاعرة: (وهذا حال هؤلاء القوم لا محالة فهم زنادقة بغير شك، فإنه لا شك في أنهم يظهرون تعظيم المصاحف إيهاما أن فيها القرآن، ويعتقدون في الباطن أنه ليس فيها إلا الورق والمداد، ويظهرون تعظيم القرآن ويجتمعون لقراءته في المحافل والأعرية، ويعتقدون أنه من تأليف جبريل وعبارته، ويظهرون أن موسى سمع كلام الله من الله ثم يقولون ليس بصوت)[1]

قال آخر: صدقت.. ومثله فعل شيخنا الجليل عبيد الله بن سعيد السجزيّ الذي ألف رسالة في تكفير من أنكر الحرف والصوت، ويقصد بهم الأشاعرة بالدرجة الأولى، فقد قال ناقلا لقولهم في المسألة: (وقال أبو محمّد بن كلاب ومن وافقه، والأشعري

(١) المناظرة على القرآن، ص٥٠.

وغيرهم[1]: (القرآن غير مخلوق، ومن قال بخلقه كافر إلا أن الله لا يتكلم بالعربية، ولا بغيرها من اللغات ولا يدخل كلامه النظم، والتأليف، والتعاقب، ولا يكون حرفاً ولا صوتاً)[2]

ثم عقب عليه بقوله: (ومنكر القرآن العربي وأنه كلام الله كافر بإجماع الفقهاء ومثبت قرآن لا أوّل له ولا آخر كافر بإجماعهم، ومدعي قرآن لا لغة فيه جاهل غبي عند العرب)[3]

قال ثالث: وهكذا قال الشيخ أبو إسماعيل الأنصاري الهروي في كتابه العظيم في [ذم الكلام وأهله]، وهو كتاب مشحون بتكفير الأشاعرة، وقد نقل شيخنا شيخ الإسلام ابن تيمية الكثير منه مستحسنا له، ومن ذلك نقله لقوله: (ولما نظر المبرزون من علماء الأمة وأهل الفهم من أهل السنة طوايا كلام الجهمية وما أودعته من رموز الفلاسفة ولم يقع منهم الا على التعطيل البحت، وأن قطب مذهبهم ومنتهى عقدتهم ما صرحت به رؤوس الزنادقة قبلهم، والفلك دوار والسماء خالية، وأن قولهم إنه تعالى في كل موضع وفي كل شيء ما استثنوا جوف كلب ولا جوف خنزير ولا حشا فرارا من الإثبات وذهابا عن التحقيق.. وقال أولئك ليس له كلام إنما خلق كلاما وهؤلاء يقولون تكلم مرة فهو متكلم به منذ تكلم لم ينقطع الكلام، ولا يوجد كلامه في موضع ليس هو به، ثم يقولون ليس هو في مكان، ثم قالوا ليس له صوت ولا حروف، وقالوا هذا زاج وورق وهذا صوف وخشب وهذا إنما قصد النفس وأريد به التفسير، وهذا صوت القاري إما يرى حسن وغير حسن وهذا لفظه أو ما تراه مجازا به حتى قال رأس من رؤوسهم: أو يكون قرآن من لبد وقال آخر من خشب، فراوغوا، فقالوا هذا حكاية عبر بها عن القرآن والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد

(١) انظر الأشعري في المقالات ٢/ ٢٥٧.

(٢) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٥٤)

(٣) رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص: ١٥٤)

ذلك، ثم قالوا غير مخلوق، ومن قال مخلوق كافر، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود لفظية الجهمية الذكور بمرة والجهمية الإناث بعشر مرات)[1]

قال آخر: وقد ذكر الشيخ الهروي سلفه في هذا، فقال: (ورأيت يحيى بن عمار ما لا أحصي من مرة على منبره يكفرهم ويلعنهم، ويشهد على أبي الحسن الأشعري بالزندقة، وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشائخنا)[2]

قال آخر: وقد ذهب شيخنا أبو القاسم اللالكائي ذلك في [شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة]، فقال: (سياق ما دل من الآيات من كتاب الله تعالى وما روي عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين على أن القرآن تكلم الله به على الحقيقة، وأنه أنزله على محمد ﷺ، وأمره أن يتحدى به، وأن يدعو الناس إليه، وأنه القرآن على الحقيقة. متلو في المحاريب، مكتوب في المصاحف، محفوظ في صدور الرجال، ليس بحكاية ولا عبارة عن قرآن، وهو قرآن واحد غير مخلوق وغير مجعول ومربوب، بل هو صفة من صفات ذاته، لم يزل به متكلما، ومن قال غير هذا فهو كافر ضال مضل مبتدع مخالف لمذاهب السنة والجماعة)[3]

ثم عقد فصلا آخر خصصه للأشاعرة، فقال: (سياق ما روي في تكفير من قال: لفظي بالقرآن مخلوق)[4]

قال آخر: وقد أحسن شيخنا الجليل الشيخ خالد بن علي المرضي الغامدي صنعا عندما كتب رسالته العظيمة [تكفير الأشاعرة] ، والتي قدم لها بقوله: (هذا كتاب في تكفير الأشاعرة الجهمية، وبيان قول أهل العلم فيهم، وتحقيق إجماع السلف على كفرهم، والرد

---

(١) بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية (٤/ ٤٠٥)

(٢) ذم الكلام ١٣١٥.

(٣) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٦٤)

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢/ ٣٨٥)

على من زعم خلاف ذلك، كما وفيه بيان أن من أنكر صفات الله العقلية التي لا تقوم ربوبيته ولا تصح ألوهيته إلا بها كالعلم والقدرة والعلو والكلام والسمع والبصر ونحوها كافر لا يعذر بجهل أو تأويل، وعليه فمن علم منه عبادة غير الله كدعاء الأموات والحكم بغير ما أنزل الله أو إنكار ربوبية الله أو صفاته التي لا يكون الله تعالى ربا إلا بها والتي هي من لوازم ألوهيته وربوبيته فإنه يحكم بكفره ولا يعذر بجهله وتأوله ومن مات على هذه العقيدة فهو مشرك لا يترحم عليه)[1]

وقد أثبت بالأدلة القاطعة انطباق جميع أوصاف الكفر عليهم من كلام سلفنا الأول والآخر.. ورد كذلك على أولئك المميعة الذين يمارسون التقية حفاظا على مصالحهم ومناصبهم وسمعتهم.

قال آخر: وقد شاركه في هذا الكثير من سلفنا المعاصرين كالشيخ عبد العزيز بن ريس الريس الذي كتب كتابه العظيم [تأكيد المسلمات السلفية في نقض الفتوى الجماعية بأن الأشاعرة من الفرقة المرضية]، والذي قدم له وقرظه وأثنى عليه كبار أعلام سلفنا المعاصرين من أمثال: الشيخ المحدث أحمد النجمي، والشيخ عبيد الجابري، بالإضافة لمراجعة كل من الشيخ صالح الفوزان والشيخ المحدث عبدالمحسن العباد.. فقد أثبت في هذا الكتاب كل الأدلة الدالة على كفرهم وتعطيلهم وتجهمهم.

الماتريدية:

كان مندوب الأمم المتحدة يستمع متعجبا من كل ما يحصل أمام عينيه، ولذلك ترك لهم الفرصة في الحديث إلى أن أخرجوا كل ما في صدورهم من ضغائن على الأشاعرة، وبعدها ذكر لهم شخصة أخرى، وأثنى عليها ثناء شديدا، فقام أحد الحضور بقوة يقول: دعنا من هذا الجهمي المعطل.. لقد رأيت في سيرة حياته أن المحترق زاهد الكوثري كان من

(١) تكفير الأشاعرة، ص٣.

مشايخه الذين تتلمذ عليهم.. وأنتم تعلمون ما قال علماؤنا في زاهد الكوثري تلميذ المدرسة الماتريدية الجهمية المعطلة.

قال آخر: صدقت.. وقد صرح شيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد الحميد حسونة بكفره، وسماه (مجنون أبي حنيفة الجهمي الضال) (١)

قال آخر: وقد عدد شيخنا مقبل بن هادي الوادعي جرائمه وضلالاته، فقال: (يعد من أئمة المبتدعين والمعطلة لصفات رب العالمين.. حيث يذهب في صفة العلو مذهب الجهمية المعطلة، وهو نفي علو الله تعالى بذاته على مخلوقاته، ويرى أن الله تعالى لا داخل العالم ولا خارجه ويقول عن السلف: الذين أثبتوا علو الله على خلقه واستواءه على عرشه (لا حظ لهم في الإسلام، غير أن جعلوا صنمهم الأرضي صنماً سماوياً).. ثانياً: صفة الاستواء: تابع الكوثري فيها الجهمية، فعطل صفة الاستواء، وحرف نصوصها، وقال : (وللاستواء في كلام العرب خمس عشرة معنى ما بين حقيقة ومجاز، منها ما يجوز على الله ، فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز على الله بحال، وهو ما إذا كان الاستواء بمعنى التمكن أو الاستقرار.. ثالثاً: صفة النزول: تابع الكوثري فيها الجهمية، فعطل صفة النزول، وحرّف نصوصها إلى نزول الملك.. وحرف حديث النزول تحريفاً لفظياً، فذكر لفظ [يُنزل] بضم الأول وهذا عين المناقضة لمذهب أهل السنة والجماعة.. رابعاً: صفة اليدين: يذهب الكوثري في صفة اليدين مذهب الجهمية المعطلة، فقد عطل صفة اليدين، وحرف نصوصها إلى العناية الخاصة بدون توسط.. أو المراد من اليد: القدرة، وهذا مناقض لمذهب أهل السنة والجماعة، فقد أثبتوا صفة اليدين كما جاءت بها النصوص، ومن لم يحملها على الحقيقة عندهم فهو معطل.. خامساً: صفة الكلام: تابع الكوثري الجهمية في تعطيل صفة الكلام والقول بخلق القرآن، وحرف نصوصها إلى الكلام النفسي، بل.. ويعترف الكوثري بأنه

---

(١) تسيير سرية من اجتماع الجيوش الإسلامية، ص(٣٩-٤٠)

ليس بينه وبين المعتزلة خلاف في كون القرآن مخلوقا، كما أنه لا يرى جواز سماع كلام الله تعالى، فلم يسمع منه جبريل؛ لأن كلام الله تعالى ليس بحرف ولا بصوت، وهذا مناقض لمذهب سلف الأمة وأئمتها، الذي يوافق الأدلة العقلية الصريحة، وهو أن القرآن كلام الله، منزل، غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود فهو –سبحانه– المتكلم بالقرآن والتوراة والإنجيل وغير ذلك من كلامه ليس مخلوقاً منفصلاً عنه بل سبحانه يتكلم بمشيئته وقدرته..)[١]

قال آخر: وكل هذه المقولات هي مقولات الماتريدي.. بل لا يكون الماتريدي ماتريديا إلا بها.. ولذلك فقد كفر سلفنا الماتريدية كما كفروا الأشاعرة.. ورموهم جميعا في جهنم التجهم والتعطيل.

الصوفية:

بعد أن أفرغ الجمع أحقادهم على الرجل، وعلى قومه من الماتريدية، قام مندوب الأمم المتحدة، وقال: لا بأس.. ما دام هذا الرجل لم يعجبكم.. وربما لا تعجبكم كل الشخصيات التي تستخدم عقلها في الدين، أو تحاول أن تعرض الدين عن طريق العقل.. ولكم الكثير من الحق في ذلك.. فالعقل دوره أن يفهم الدين، لا أن يفرض سلطته عليه.

أعجب الحضور بكلامه، وأخذ بعضهم يكبر.. فقال المندوب: ما دام الأمر كما ذكرتم.. فلدي شخصية ستعجبكم كثيرا وتتفق معكم في هذه الناحية.. فهي ترى أن الدين يفهم بالروح والذوق والتجربة والمعاناة.. ولذلك يرى أن المنهج الصحيح للوصول إلى حقائق الدين هو الترقي في مقامات السلوك والمعرفة.. ولذلك ألف الكتب الكثيرة التي ذكر فيها تجربته الروحية، ونصح بانتهاجها، بل إنه ـ في عصرنا ـ يشبه أولئك القديسين والأولياء من الصالحين الذين امتلأوا بحب الله وحب أوليائه.

قال آخر: دعك من كل هذا.. وأخبرنا عن هذه الشخصية التي تريد أن تفرضها

---

(١) فضائح ونصائح،ص(٢٦٦)

علينا، فإنا نشم من حديثك روائح بدعة منتنة.. أصابتنا بالغثاء.

تعجب المندوب من هذه الوقاحة، لكنه لم يجد إلا أن يخضع لها، فذكر لهم اسم الشخصية، فوقف الجميع، وصاحوا بصوت واحد: كافر.. كافر.. زنديق.. ضال.. محترق.. حلولي.. قبوري.. ملحد.

لم يجد المندوب ما يجيبهم به، سوى أن طلب منهم الهدوء، وأن يتحدثوا واحدا واحدا ليفهم عنهم.

فقام أحدهم، وكان أكبرهم سنا، وقال: أرى أنك أيها المندوب لا تختلف عن الذباب، فأنت لا تقع إلا على النجاسات والقاذورات.. والشخص الذي ذكرته لنا أبشع هذه النجسات، وأقذر هذه القمامات.. فهو صوفي جلد..

قال المندوب: أنا أعلم أنه صوفي.. ولذلك رغبتكم فيه.. فالصوفية اختاروا منهج الروح والذوق، لا منهج العقل الذي رأيتكم ترفضونه..

قال الرجل: ونحن ننكر هذا أيضا، بل هذا أبشع من أولئك، وأشد كفرا منهم.. فالدين لا يعرف لا بالعقل ولا بالروح.. بل يعرف فقط بالنقل..

قال المندوب: نسيت أن أخبركم أن للرجل تفسيرا للقرآن.. وشروحا للحديث.. وهو بذلك يعرف النقل، ولا ينكره.

قال الرجل: وهذا من أكبر ضلالاته.. فالقرآن لا يفسره.. والحديث لا يشرحه إلا سلفي عرف السلف وأخذ عنهم.. أما هؤلاء الدجالون الذين يستعملون عقولهم أو أذواقهم فهم أبعد الناس عن فهم القرآن والحديث.

قال المندوب: نعم أنا مقر أن في الصوفية من انحرف وغير وبدل.. ولكن هذا الرجل ملتزم بكل ما يطلبه الدين من قيم وسلوكات، وقد رأيته بعيني..

قاطعه الرجل، وقال: أنت لا تعرف جيدا حيل هؤلاء الصوفية.. فهم أكذب الناس،

وأكثرهم تقية.. وقد كتب شيخنا الجليل محمود عبد الرؤوف القاسم كتابه العظيم (الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ)، والذي فضح به جميع الصوفية أولهم وآخرهم، وبين أنهم جميعا كفرة ملاحدة زنادقة.. وقد أثبت فيه بالأدلة القطعية أن جميعهم يقول بالحلول والاتحاد ووحدة الوجود وغيرها من الطامات..

لقد قال في ذلك: (لا يوجد إلا صوفية واحدة، غايتها واحدة، وحقيقتها واحدة (وسنرى أن طريقتها واحدة) منذ أن وجدت الصوفية حتى النهاية، وإن اختلفت الأسماء)[1]

ثم قال بعد سوقه للكثير من النصوص من أعلام الصوفية الكبار: (هذه أقوال لبعض كبار القوم، نخلص منها إلى أن للصوفية عقيدة واحدة يدين بها كل المتصوفة قديمهم وحديثهم، وأن الطرق الصوفية كالشاذلية والرفاعية والقادرية والخلوتية والنقشبندية واليشرطية والمولوية والبكطاشية والتجانية وغيرها وغيرها، وإن اختلفت أسماؤها، فهي كلها تؤدي إلى هدف واحد هو العقيدة الصوفية الواحدة)[2]

قال آخر: صدقت.. بل استطاع أن يكتشف حيلهم وخداعهم ومكرهم، والذي انطلى حتى على بعض أصحابنا من السلفيين الذين خلطوا بين أهوائهم وبين قول سلفنا الأول.. لقد قال يذكر ذلك: (.. إننا أمام جماعة باطنية لهم عقيدة سرية، استهوت عقولهم ونفوسهم واستحوذت عليها، فلا يهتدون سبيلًا إِلا سبيلها، وهم يدافعون عنها بكل ما لديهم من إِمكانيات وبالمراوغات والمغالطات واللف والدوران وجميع الأساليب اللاعلمية واللاأخلاقية)[3]

---

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص٥

(٢) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص٨.

(٣) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص٨.

ثم ضرب مثلا على ذلك، فقال:(وكمثل على ذلك: إِنهم يعلمون يقيناً وخاصة الواصلون منهم أن الصوفية هي كفر وزندقة بالنسبة للشريعة الإسلامية، ومع ذلك فهم يكتمون هذه الحقيقة ويشيعون بين الناس أن الصوفية هي قمة الإسلام والإيمان وهي منتهى التقى والورع، وهي مقام الإِحسان، وقد انطلت هذه الخدعة على الناس وصدقوها، حتى لو قلت لأحدهم: إِن الصوفية زندقة، لثار عليك واتهمك الاتهامات التي لا تخطر لك على بال، رغم أَنه ليس صوفيًّا، ولكنه اقتنع بالخدعة وانجرت عليه ذيولها)[1]

قال آخر: ليس الأمر قاصرا على من ذكرتم، فكل سلفنا متفقون على تكفير من يقول بأقوال الصوفية..ولو لم يكن في ممارساتهم إلا تعظيم القبور وعبادة الأصنام لكان ذلك كافيا..

قال آخر: لذلك حاربهم شيخنا الكبير مجدد الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وقتلهم وشردهم.. بل سبى نساءهم وأطفالهم لأنهم مشركون مرتدون..

قال آخر: لقد سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بدولة التوحيد هذا السؤال: (ما هي حقيقة هذه الطرق الكثيرة عندنا مثل: الشاذلية، والأحمدية، والسعدية، والبرهانية، وغيرها..)، فأجابت بهذا الجواب السلفي العظيم: (طريقة الشاذلية والأحمدية والسعدية والبرهانية ونحوها من الطرق طرق ضلال، لا يجوز للمسلم أن يتبع واحدة منها)[2]

قال آخر: صدقت، وقد قال شيخنا الكبير ابن جبرين: (أما الصوفية في هذا الزمان ومنهم من يعرفون بالتيجانية وغيرهم، فإنهم قد انتحلوا طرقا، وصارت لهم مقامات وخواص تصادم الأدلة؛ حيث يعتقدون في أوليائهم الأقدمية على الرسل الكرام، ويزعمون

(١) الكشف عن حقيقة الصوفية لأول مرة في التاريخ، ص٩.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: ٣/ ١٤١.

أن الولي يأخذ عن الله بلا واسطة، ويرجعون إلى أقوال مقدميهم، ويحكمونهم في الأنفس والأزواج والأموال، ويعتقدون فيهم العصمة وملكية التصرف، ونحو ذلك من الاعتقادات السيئة، فما داموا كذلك فهم مجانبون للصواب، ومحادون لله ورسوله، فلا نعرف لهم فضلا ولا كرامة)[1]

قال آخر: وقال الشيخ الفوزان: (.. ومن ذلك الطرق الصوفية فإنها طرق مبتدعة محدثة ليست من دين الإسلام بل هي من دس أعداء الإسلام وتلقفها كثير من الجهال أو من الضلال الذين يريدون أن يحتالوا بها على الناس ويتزعموا بها على الناس بالباطل فالطرق الصوفية طرق محدثة وطرق فاسدة وطرق ضالة مخالفة لهدي الرسول ﷺ.. ومن ذلك الطريقة التيجانية فإنها من أضل الطرق الصوفية وأفسدها ولها عقائد كفرية وقد أنقذ الله منها بعض معتنقيها فردوا عليها وكتبوا في بيان كفرها وضلالها الكتابات الطيبة المفيدة وهي مطبوعة ومتداولة ولله الحمد)[2]

قال آخر: لم يكتف علماؤنا بتكفيرهم لأعلام الصوفية المارقين.. ولا بتكفير أصحاب الطرق الصوفية الضالين.. بل كفروا كل من يرتبط بالصوفية من قريب أو من بعيد.. حتى يحموا حمى التوحيد من كل جبار عنيد.

قال آخر: صدقت.. ولذلك كفر مجدد الإسلام الأكبر، شيخنا محمد بن عبد الوهاب كل أهل زمانه لتصوفهم وضلالهم وعودتهم إلى الجاهلية.. وقد قال مؤرخنا الكبير ابن غنام يذكر كيف كان الحال في عهده: (كان غالب الناس في زمانه – أي الشيخ محمد بن عبدالوهاب – متضمخين بالأرجاس متلطخين بوضر الأنجاس حتى قد انهمكوا في الشرك بعد حلول السنة بالأرماس... فعدلوا إلى عبادة الأولياء والصالحين، وخلعوا ربقة التوحيد

---

(١) مجلة البحوث الإسلامية (٩/ ١٧١)

(٢) مؤلفات الفوزان، ٢٤/ ٨٨.

والدين، فجدوا في الاستغاثة بهم في النوازل والحوادث والخطوب المعضلة الكوارث، وأقبلوا عليهم في طلب الحاجات وتفريج الشدائد والكربات من الأحياء منهم والأموات، وكثير يعتقد النفع والضر في الجمادات)[1]، ثم ذكر صور الشرك في نجد والحجاز والعراق والشام ومصر وغيرها.

قال آخر: وقال أميرنا العادل سعود بن عبدالعزيز في رسالة له إلى والي العراق العثماني واصفاً حال دولتهم: (فشعائر الكفر بالله والشرك هي الظاهرة عندكم مثل بناء القباب على القبور وإيقاد السرج عليها وتعليق الستور عليها وزيارتها بما لم يشرعه الله ورسوله واتخاذها عيداً وسؤال أصحابها قضاء الحاجات وتفريج الكربات وإغاثة اللهفات، هذا مع تضييع فرائض الدين التي أمر الله بإقامتها من الصلوات الخمس وغيرها فمن أراد الصلاة صلى حده ومن تركها لم ينكر عليه وكذلك الزكاة وهذا أمر قد شاع وذاع وملأ الأسماع في كثير من بلاد: الشام والعراق ومصر وغير ذلك من البلدان)[2]

قال آخر: بل إن شيخنا عبدالله بن عبداللطيف سئل عمن لم يكفر الدولة العثمانية مع تأييدها للصوفية، فأجاب: (من لم يعرف كفر الدولة ولم يفرق بينهم وبين البغاة من المسلمين لم يعرف معنى لا إله إلا الله، فإن اعتقد مع ذلك أن الدولة مسلمون فهو أشد وأعظم وهذا هو الشك في كفر من كفر بالله وأرك به، ومن جرهم وأعانهم على المسلمين بأي إعانة فهي ردة صريحة)[3]

قال آخر: وقد قال شيخنا سليمان بن سحمان في قصيدة له لا زال أطفالنا ينشدونها[4]:

---

(١) حسين بن غنام (روضة الأفكار) ص٥.

(٢) الدرر السنية، ١/ ٣٨٢.

(٣) الدرر السنية، ٨/ ٢٤٢.

(٤) (ديوان ابن سحمان) ص ١٩١..

وما قال في الأتراك من وصف كفرهم فحق فهم من أكفر الناس في النحل
وأعداهم للمسلمين وشرهم ينوف ويربو في الضلال على المللْ
ومن يتول الكافرين فمثلهم ولا شك في تكفيره عند من عقلْ
ومن قد يواليهم ويركن نحوهـــــم فلا شك في تفسيقه وهو في وجــلْ

الشيعة:

بعد أن أفرغ الجمع أحقادهم على الرجل، وعلى الصوفية جميعا، قام مندوب الأمم المتحدة، وقال: لا بأس.. لن أفرض عليكم شخصا لا يناسبكم.. ما زال في جعبتي غيره.. لكن أرجو أن تتنازلوا قليلا فـ:

من ذا الذي ترضي سجاياه كلها كفى المرء نبلًا أن تُعدّ معايبه

قال أحدهم: هات ما عندك.. ودعك من هذه الخدع الإبليسية والمؤامرات التلبيسية، فنحن نعرفكم جيدا أيها المتآمرون على السنة والسلف.

تجهم وجه المندوب، لكنه كظم غيظه، وسمى لهم الشخص الخامس، فصعق بعضهم، وصاح بعضهم.. وحدثت فوضى كبيرة تعجب المندوب عجبا شديدا بسببها، فراح يسأل: ما الذي حصل.. هل سميتم لكم اسم الشيطان حتى يحصل لكم كل هذا؟

قال أحدهم: اسكت أيه الأحمق المغفل.. إن الذي ذكرته أخطر من الشيطان نفسه.

قال المندوب: الذي أعلمه أنه مسلم.. وأن له كتبا في القرآن والسنة.. وأن له جهودا طيبة في خدمة العلم وفي الدعوة للإسلام.

قال الرجل: ولم تعلم أيها المغفل أنه رافضي خبيث منتن الرائحة..

قال المندوب: لا تقل هذا.. فرائحته طيبة جدا، وهو من أصدقائي المقربين، يدخل بيتي وأدخل بيته..

قال الرجل: لقد صدق شيخ الإسلام ابن تيمية حين ذكر أن الرافضة هم أقرب

الناس لأعداء الإسلام من أمثالكم..

أراد المندوب أن يتحدث، فقاطعه أحدهم قائلا: يا قوم.. ألا ترون أين وصل بنا الأمر.. لقد صار للرافضة أحفاد ابن سبأ.. شر من وطئ الثرى وجود في هذه البلدة.. وصاروا يذكرون أسماءهم من غير أي تقية أو خوف.. وكل ذلك بسبب تقصيرنا في ردعهم والتحذير منهم كما كان يفعل سلفنا الصالح.

قال آخر: صدقت.. لقد فرطنا كثيرا في ذلك التراث الكبير من التكفير والتضليل والسباب التي كان يكيلها سلفنا الصالح للرافضة.

قال آخر: صدقت.. لقد كان الشعبي ينظر من وراء حجب الغيب لخطورتهم الشديدة على الإسلام.. فلذلك حذر منهم تحذيرا شديدا، فقال: (ما رأيت أحمق من الخشبية[1] [يقصد الشيعة]، لو كانوا من الطير لكانوا رخما، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا، والله لو طلبت منهم أن يملؤوا هذا البيت ذهبا على أن أكذب على علي لأعطوني، والله ما أكذب عليه أبدا)[2]

قام آخر، وقال: صدقت.. وقد رويت بسندي عن الثقاة من سلفنا الصالح أنه قال قال هذا القول الممتلئ بالحكمة: (أحذركم أهل هذه الأهواء المضلة، وشرها الرافضة، لم يدخلوا في الاسلام رغبة ولا رهبة، ولكن مقتا لأهل الاسلام وبغيا عليهم)[3]

قال آخر: بل أحفظ من أقواله ما يثبت بالأدلة القاطعة عن علاقة الرافضة باليهود وشبههم بهم، فقد قال: (وآية ذلك أن محنة الرافضة، محنة اليهود. قالت اليهود: لا يصلح الملك إلا في آل داود، وقالت الرافضة لا تصلح الإمامة إلا في ولد علي، وقالت اليهود: لا

---

(١) يقصد الشيعة، والخشبية نسبة إلى الخشب، وذلك لأنهم كانوا يرفضون القتال بالسيف ويقاتلون بالخشب، وذكر ابن حزم (الفصل ٥/ ٤٥) أن بعض الشيعة كانوا لا يستحلون حمل السلاح حتى يخرج الذي ينتظرونه.

(٢) منهاج السنة النبوية ١/ ٢٢)

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد: ٢/ ٥٤٩.

جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، وينزل سيف من السماء، وقالت الرافضة: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المهدي، وينادي مناد من السماء.. واليهود يؤخرون الصلاة إلى اشتباك النجوم، وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب إلى اشتباك النجوم.. واليهود تزول عن القبلة شيئا، وكذلك الرافضة، واليهود تنود في الصلاة، وكذلك الرافضة، واليهود تسدل أثوابها في الصلاة، وكذلك الرافضة.. واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن. واليهود قالوا: افترض الله علينا خمسين صلاة، وكذلك الرافضة.. واليهود لا يخلصون السلام على المؤمنين إنما يقولون: السام عليكم ـ والسام الموت ـ وكذلك الرافضة.. واليهود لا يرون المسح على الخفين، وكذلك الرافضة.. واليهود تبغض جبريل، ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة، يقولون غلط جبريل بالوحي على محمد)[1]

قال آخر: وأحفظ من أقواله ما يثبت بالأدلة القاطعة عن علاقة الرافضة بالنصار والصليبيين، فقد قال: (وكذلك الرافضة وافقوا النصارى في خصلة: النصارى ليس لنسائهم صداق إنما يتمتعون بهن تمتعا، وكذلك الرافضة يتزوجون بالمتعة، ويستحلون المتعة، وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين، سئلت اليهود: من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى. وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم، فسبوهم والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا يثبت لهم قدم ولا تجتمع لهم كلمة، ولا تجاب لهم دعوة، دعوتهم مدحوضة، وكلمتهم مختلفة، وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله)[2]

---

(١) منهاج السنة النبوية: ١/ ٢٤.

(٢) منهاج السنة النبوية ١/ ٢٦)

قال آخر: وهكذا كان موقف غيره من سلفنا الصالح.. فقد رويت بسندي عن مسعر بن كدام أنه لقيه رجل من الرافضة فكلمه بشئ.. فقال له مسعر: تنح عني فإنك شيطان)[1] .. ورويت عن محمد بن يوسف الفريابي قوله: (ما أرى الرافضة والجهمية إلا زنادقـة)[2]

قال آخر: وقد رويت مثلك بسندي العالي المتسلسل بالسلسلة الذهبية عن القاسم بن سلام قوله: (عاشرت الناس، وكلمت أهل الكلام، وكذا، فما رأيت أوسخ وسخاً، ولا أقذر قذراً، ولا أضعف حجة، ولا أحمق من الرافضة، ولقد وليت قضاء الثغور فنفيت منهم ثلاثة رجال: جهميين ورافضي، أو رافضيين وجهمي، وقلت: مثلكم لا يساكن أهل الثغور فأخرجتهم)[3]

قال آخر: وقد رويت مثلك بسندي الممتلئ بالثقاة والعدول عن أحمد بن يونس قوله: (إنا لا نأكل ذبيحة رجل رافضي، فإنه عندي مرتد)[4]

قال آخر: ورويت بسندي عن إمام الثقاة وسيدهم وصاحب أعظم كتاب في الدنيا الإمام الجليل البخاري قوله: (ما أبالي صليت خلف الجهمي والرافضي، أم صليت خلف اليهود والنصارى، ولا يسلم عليهم، ولا يعادون، ولا يناكحون، ولا يشهدون، ولا تؤكل ذبائحهم)[5]

قال آخر: ورويت بسندي عن إمام الجرح والتعديل أبي زرعة الرازي قوله: (إن

---

(١) اللالكائي في شرح السنة ٨/ ١٤٥٧..

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨/ ١٤٥٧.

(٣) السنة للخلال ١/ ٤٩٩.

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ٨/ ٤٥٩.

(٥) خلق أفعال العباد (ضمن عقائد السلف) ص١٢٥.

الجهمية كفار، وإن الرافضة، رفضوا الإسلام)[1]

قام آخر، وقال: أما أنا فأحفظ من نونية القحطاني قوله[2]:

إن الروافضَ شرٌّ من وطيءَ الحَصَى ... من كلِّ إنسٍ ناطقٍ أو جانِ

مدحوا النّبيَ وخونوا أصحابه ... ورموُهمُ بالظلمِ والعدوانِ

حبّوا قرابتهَ وسبَّوا صحبه ... جدلان عند الله منتقضانِ

قال آخر: أما أنا فأحفظ كل ما قاله في حقهم إمامنا الجليل شيخ الإسلام والناطق باسمه من لا نظير له في التاريخ ابن تيمية.. فمن أقواله فيهم قوله: (والله يعلم وكفى بالله عليماً، ليس في جميع الطوائف المنتسبة إلى الإسلام مع بدعة وضلالة شر منهم: لا أجهل، ولا أكذب، ولا أظلم ولا أقرب إلى الكفر والفسوق والعصيان، وأبعد عن حقائق الإيمان منهم)[3]

ويقول فيهم بثقة عظيمة: (وهؤلاء الرافضة: إما منافق، وإما جاهل، فلا يكون رافضي ولا جهمي إلا منافقاً، أو جاهلاً بما جاء به الرسول ﷺ، لا يكون فيهم أحد عالماً بما جاء به الرسول ﷺ مع الإيمان به. فإن مخالفتهم لما جاء به الرسول ﷺ، وكذبهم عليه لا يخفى قط إلا على مفرط في الجهل والهوى)[4]

وقال: (فبهذا يتبين أنهم شر من عامة أهل الأهواء.. وأيضاً فغالب أئمتهم زنادقة إنما يظهرون الرفض لأنه طريق إلى هدم الإسلام)[5]

ويقول عن اشتهارهم بالكذب: (وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة ١/ ١٧٨.

(٢) نونيه القحطاني ص٢١ .

(٣) منهاج السنة ١/ ١٦٠.

(٤) منهاج السنة ١/ ١٦١.

(٥) مجموع الفتاوى ٢٨/ ٤٨٢-٤٨٣.

أن الرافضة أكذب الطوائف، والكذب فيهم قديم، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب)[1]

الإباضية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الشيعة، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن كلمتكم اتفقت على أن هذا الرجل لا يصلح لهذا المنصب الحساس، ولهذا سأذكر لكم غيره.. لا يزال لدي خمسة أشخاص.. فأرجو أن تتنازلوا حتى لا تفوتكم الفرصة في التعريف بدينكم في ذلك المحفل العالمي الكبير..

قال رجل من الجمع: نحن نرضى أن يبقى كرسينا فارغا، ولا نرضى أن يمثل ديننا من لا يستحق أن يمثله.. الإسلام دين عظيم، ولا ينبغي أن يتحدث عنه إلا من يعرفه حق معرفته.

لم يجد المندوب إلا أن يذكر لهم الاسم الخامس، ويشفعه بقوله: هذا رجل عاقل وهادئ ومسالم.. ويمكنه أن يمثلكم خير تمثيل.. فلديه الكثير من القدرات العلمية والأخلاقية..

غضب بعض الحضور، وقال: أتأتي لنا برجل من كلاب أهل النار.. ثم تذكر لنا طيبته وأخلاقك.. ويلك ألا تعلم أنه من الإباضية الخوارج الذين وردت الأحاديث الكثيرة بالتحذير منهم؟

قال آخر: وليتهم اكتفوا بخارجيتهم.. بل أضافوا إليها التجهم والتعطيل.. فلا تجد إباضيا إلا معطلا ومنكرا للرؤية.

قال آخر: بل أضافوا إلى خارجيتهم الكثير من الجرائم التي عبر عنها شخنا الجليل سليل مجدد الإسلام الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بقوله:

---

(١) منهاج السنة ١/ ٥٩.

(والخوارج ما عندنا أحد منهم حتى في الأمصار ما هنا طائفة تقول بقول الخوارج إلا الإباضية في أقصى عمان ووقعوا فيما هو أكبر من رأي الخوارج وهي عبادة الأوثان ولا وجدنا خطك في الخوارج إلا أن أهل هذه الدعوة الإسلامية التي هي دعوة الرسل إذا كفروا من أنكرها قلت يكفرون المسلمين لأنهم يقولون لا إله إلا الله)(١)

قال آخر: ومثله قال الشيخ سليمان بن سحمان: (فإنه بلغنا عن بعض الإخوان الساكنين بالساحل من أرض عُمان أن في جهتهم جهميةً وإباضية وعباد قبور متظاهرين بمذاهبهم وعقائدهم، مظهرين العداوة للإسلام وأهله. وذكروا أنه كان لديهم أناس ممن ينتسب إلى العلم والطلب يجادلون عنهم، ويوالونهم، ويفرون إليهم، ويأخذون جوائزهم وصلاتهم، ويأكلون ذبائحهم. وهؤلاء الجهمية الذين كانوا بالساحل من أرض عمان قد شاع ذكرهم وانتشر خبرهم، وظهر أمرهم من قديم الزمان.. حكم الجهمية، وعباد القبور والإباضية وغيرهم من طوائف الكفر ممن قد نشأ في الإسلام، وبين أظهر المسلمين، ويسمعون كتاب الله وسنة رسوله ويقرؤون فيهما. وكتب أهل الفقه وأهل الحديث)(٢)

بل قال فوق ذلك: (فأما الجهمية، والإباضية، وعباد القبور، فالرفق بهم، والشفقة عليهم، والإحسان، والتلطف، والصبر، والرحمة، والتبشير لهم، مما ينافي الإيمان، ويوقع في سخط الرحمن، لأن الحجة بلغتهم منذ أزمان)(٣)

قال آخر: بل استدل شيوخنا شيوخ الإسلام بالحديث الوارد في حقهم على جواز قتلهم، ولو لم يقاتلوا، فقد قال شيخ الإسلام في ذلك: (فأما قتل الواحد المقدور عليه من

---

(١) المطلب الحميد لعبد الرحمن بن حسن ص ١٥٧.

(٢) مجموعة الرسائل النجدية ١/ ٧٢.

(٣) كشف الشبهتين ص ٦٠.

الخوارج كالحرورية والرافضة ونحوهم، فهذا فيه قولان للفقهاء، هما روايتان عن الإمام أحمد، والصحيح أنه يجوز قتل الواحد منهم)[1]، وقال: (اتفق على قتالهم سلف الأمة وأئمتها)[2] ، وقال ابن قدامة: (والصحيح إن شاء الله أن الخوارج يجوز قتلهم ابتداء والإجهاز على جريحهم لأمر النبى ﷺ بقتلهم ووعده بالثواب لمن قتلهم)[3]، بل قال ابن هبيرة: (إن قتال الخوارج أولى من قتال المشركين، والحكمة فيه أن فى قتالهم حفظ رأس مال الإسلام، وفى قتال أهل الشرك طلب الربح، وحفظ رأس المال أولى)[4]

قال آخر: وهكذا أفتت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بدولة التوحيد، فقد سئلت حول حكم الصلاة خلف الإباضية، فأجابت: (فرقة الإباضية من الفرق الضالة لما فيهم من البغي والعدوان والخروج على عثمان بن عفان وعلي، ولا تجوز الصلاة خلفهم)[5]

الحنفية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الإباضية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن كلمتكم اتفقت على أن هذا الرجل لا يصلح لهذا المنصب الخطير، ولهذا سأذكر لكم غيره.. وأظن أنكم لن تختلفوا عليه، فهو من أهل السنة والجماعة، وإمامه الذي ينتسب إليه إمام من أئمة السلف..

صاح الجميع مبكرين، وقالوا: الآن أتيتنا بما نريد.. ليتك بدأت به.. حتى لا نضيع

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٨/ ٤٩٩)

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٨١)

(٣) المغني (٨/ ٥٢٦)

(٤) الإباضية في ميزان أهل السنة والجماعة، ص٣٧.

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، فتوى رقم ٦٩٣٥.

وقتنا مع أولئك المهرطقين.

ذكر لهم المندوب اسمه، وشفعه بقوله: هو فقيه من فقهاء الكبار، ولديه كتب كثيرة في الشريعة، وفي بيان صلاحيتها لكل زمان ومكان، وهو لم يخض في أي قضية عقدية.. وهو..

قاطعه بعضهم، وقال: وهو جهمي معطل عابد قبور..

ضحك الجميع، فزاد ذلك من جرأة الرجل، ووقاحته، وقال: ألا تعرف أن ذلك الرجل حنفي.. الحنفية منذ بدأوا إلى اليوم وهم بين معطل وجهمي أو عابد قبر أو حلولي أو ملحد..

قال آخر: ألم تسمع ما قال أئمتنا في إمامه الأكبر أبي حنيفة.. لقد حدثني من أثق به بسنده عن إسحاق بن منصور الكوسج، قال: قلت لأحمد بن حنبل: يؤجر الرجل على بغض أبي حنيفة وأصحابه؟ قال: إي والله[١].

وحدثني بسنده عن سعيد بن سلم، قال سألت أبا يوسف وهو بجرجان عن أبي حنيفة، فقال: (وما تصنع به مات جهميا)[٢]، وقال: قلت لأبي يوسف أكان أبو حنيفة يقول بقول جهم؟ فقال: (نعم)[٣]

وروى عن إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، يقول: (هو دينه ودين آبائه يعني القرآن مخلوق)[٤]

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٠.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨١.

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨١.

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٢.

قال آخر: ورويت بسندي عن الثقاة العدول إلى سفيان الثوري أنه قال: قال لي حماد بن أبي سليمان: (اذهب إلى الكافر يعني أبا حنيفة فقل له: إن كنت تقول: إن القرآن مخلوق فلا تقربنا)[١].. وقال: سمعت حمادا، يقول: (ألا تعجب من أبي حنيفة يقول: القرآن مخلوق، قل: له يا كافر يا زنديق)[٢]

قال آخر: ورويت بسندي عن سلام بن أبي مطيع قال: (كنت مع أيوب السختياني في المسجد الحرام فرآه أبو حنيفة فأقبل نحوه، فلما رآه أيوب قال لأصحابه: قوموا لا يعدنا بجربه، قوموا لا يعدنا بجربه)[٣]، وقال: (لقد ترك أبو حنيفة هذا الدين وهو أرق من ثوب سابري)[٤]

قال آخر: ورويت بسندي عن شريك بن عبد الله أنه قال: (لأن يكون في كل ربع من أرباع الكوفة خمار يبيع الخمر خير من أن يكون فيه من يقول بقول أبي حنيفة)[٥]، وقال: (أصحاب أبي حنيفة أشد على المسلمين من عدتهم من لصوص تاجر قمي)[٦]

قال آخر: وليت الذي ذكرته اكتفى بأبي حنيفة، بل أضاف إليه ما مال إليه كل الحنفية أو أكثرهم، وهو التمذهب بالمذهب الماتريدي في العقيدة.. وهو مذهب جهمي تعطيلي كافر.

---

(١) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٤.

(٢) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٤.

(٣) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٨.

(٤) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ١٨٩.

(٥) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ٢٠٣.

(٦) السنة لعبد الله بن أحمد، ١/ ٢٠٣.

قال آخر: وليت الأمر اقتصر على ذلك، بل إن معظم الحنفية إن لم نقل كلهم مال إلى الصوفية، وشرب من مشاربهم المسمومة.. فلذلك لا تجد حنفيا إلا كافرا معطلا حلوليا ملحدا.

المالكية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الحنفية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن هذا الرجل لم يعجبكم هو الآخر.. اعلموا فقط أنه لم يبق في جعبتي إلا ثلاثة أشخاص.. فلذلك حاولوا أن تتنازلوا قليلا.

لم يأبه الجمع لكلامه.. فراح يذكر لهم اسم الشخص الثامن.. ويشفعه بقوله: هذا عالم كبير من علماء المالكية.. وهو ـ كما أعلم ـ ينتسب إلى مالك الذي لديه عندكم حرمته الخاصة..

قام أحدهم، وقال: ومن ذكر لك أن المالكية أتباع مالك.. أتباع مالك هم تلاميذه الأوائل فقط.. أما من بعدهم، فقد مالوا إلى مذهب الأشاعرة الجهمية المعطلة.. ومال أكثرهم إلى الطرق الصوفية.. فصاروا حلولية قبورية ملاحدة.

قال آخر: صدقت.. وقد وقف كبار أعلامهم المتأخرين منهم في وجه شيخنا مجدد الإسلام محمد بن عبد الوهاب يقاومون دعوته التوحيدية بدعواتهم الشركية.. ولذلك حكم عليهم جميع بالشرك.. هو وأحفاده وتلاميذه.

قال آخر: بل قام من قبلهم بتصنيف المصنفات البدعية في الرد على شيخ الإسلام ابن تيمية.. وكل هؤلاء كفرة مبتدعة.. ليس لهم من جزاء في الآخرة إلا جهنم.. وليس لهم من جزاء في الدنيا إلا أن يقتلوا أو يصلبوا.. وترمى رؤوسهم في المزابل.

قال آخر: صدقت.. فكل المالكية الذين أعرفهم كما وصفت.. ولو عاشوا في عهد أميرنا العظيم خالد القسري لضحى بهم كما ضحى بالجعد بن درهم.

الشافعية:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على المالكية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن هذا الرجل لم يعجبكم أيضا.. ولذلك لكم أن تختاروا بين رجلين فقط.. فلم يبق في جعبتي غيرهما..

قالوا: فمن أولهما؟

ذكر لهم اسمه، وقال: هذا عالم جليل، وله الخبرات المختلفة في المجالات الكثيرة، وأظن أنه سيكون أحسن ممثل للإسلام في هذا المحفل الدولي الكبير.. فأرجو أن تتنازلوا وتقبلوه.

قام أحدهم، وقال: ويل لك.. أتريد أن تفرض علينا الشياطين ليمثلونا.. هذا رجل أفاك لا يختلف عن سابقيه.. فهو أشعري المذهب، صوفي المشرب.. فكيف تريد منا أن نزكي زنديقا هذه صفته.

قال آخر: وهو قد ورث فوق ذلك كثيرا من الرفض والتشيع عن إمامه الشافعي الذي اتهمه سلفنا الصالح بالرفض.. بل أقر هو نفسه بذلك، فقال:

إن كان رفضاً حب آل محمد فلشهد الثقلان أني رافضي

قال آخر: صدقت.. فالإقرار سيد الأدلة.. وقد نقل شيخنا الذهبي موافقته الشيعة في عدة مسائل فقهية خطيرة كالجهر بالبسملة والقنوت في صلاة الصبح والتختم باليمين[1].

قال آخر: صدقت.. وقد قال عنه الحافظ أحمد بن عبد الله العجلي: (هو ثقة، صاحب رأي ليس عنده حديث، وكان يتشيع)[2]

---

(١) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم ص ٣٢.

(٢) الرواة الثقات المتكلم فيهم بما لايوجب ردهم ص ٣٢.

قال آخر: بل إن يحيى بن معين ـ إمام الجرح والتعديل على الإطلاق ـ حكم على الشافعي بأنه ليس بثقة، ومثله المحدث أبو عبيد القاسم بن سلام.

الحنابلة:

بعد أن أفرغ الجمع كل أحقادهم وأمراض نفوسهم على الشافعية، قام المندوب، وقال: لا بأس.. أرى أن هذا الرجل لم يعجبكم أيضا.. ولذلك لم يبق في جعبتي إلا رجل واحد إما أن تختاروه.. أو أنصرف خافي الوفاض.. ليبقى كرسيكم فارغا في ذلك المحفل الدولي الكبير.. ولن يمثلكم حينها أحد.

قال ذلك، ثم ذكر لهم اسم الشخص، وشفعه بقوله: هو عالم من علماء الحنابلة الكبار.. وأرى أنهم أحسن من يمثلكم.. وأنهم أقرب إليكم من كل أحد..

قام أحدهم، وقال: ويلك.. ومن ذكر لك أن الحنابلة كلهم ممدوحون.. بل أكثرهم مذمومون ضالون كافرون منحرفون عن منهج إمامهم أحمد إلى مناهج الزنادقة والمعطلة.

قال آخر: ألا تعلم أن شيخنا مجدد الإسلام محمد بن عبد الوهاب حكم بالردة على كل حنابلة زمانه ما عدا الذين انضموا إلى دعوته؟

قال آخر: ألا تعلم أنه كفر علماءهم أيضا.. فقد كفر الزنديق الكبير محمد بن فيروز الحنبلي الذي كان علما كبيرا من أعلام الحنابلة المارقة على مذهب إمامها.. فقد قال فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب: (.. وأيضا مكاتيب أهل الأحساء موجودة، فأما ابن عبد اللطيف، وابن عفالق، وابن مطلق، فحشو بالزبيل أعني: سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به، أو أنكر الشرك؛ ولكن تعرف ابن فيروز، أنه أقربهم إلى الإسلام، وهو رجل من الحنابلة، وينتحل كلام الشيخ وابن القيم خاصة، ومع هذا صنف مصنفا أرسله إلينا، قرر فيه: أن هذا الذي يفعل عند قبر يوسف وأمثاله، هو الدين الصحيح، واستدل في تصنيفه بقول النابغة:

أيا قبر النبي وصاحبيه ووامصيبتنا لو تعلمونا

وفي مصنف ابن مطلق الاستدلال بقول الشاعر:

وكن لي شفيعا يوم لا ذو شفاعة سواك بمغن عن سواد بن قارب

ولكن الكلام الأول، أبلغ من هذا كله، وهو شهادة البدو، والحضر، والنساء والرجال، أن هؤلاء الذين يقولون: التوحيد دين الله ورسوله، ويبغضونه أكثر من بغض اليهود والنصارى، ويسبونه، ويصدون الناس عنه، ويجاهدون في زواله وتثبيت الشرك، بالنفس والمال، خلاف ما عليه الرسل وأتباعهم، فإنهم يجاهدون ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣])[1]

قال آخر: بل صرح بذلك في موضع آخر، فقال في رسالة كتبها إلى أحمد بن عبد الكريم جاء فيها: (..وصل مكتوبك تقرر المسألة التي ذكرت، وتذكر أن عليك إشكالا تطلب إزالته، ثم ورد منك مراسلة، تذكر أنك عثرت على كلام للشيخ أزال عنك الإشكال، فنسأل الله أن يهديك لدين الإسلام. وعلى أي شيء يدل كلامه، من أن من عبد الأوثان عبادة أكبر من عبادة اللات والعزى، وسب دين الرسول ﷺ بعدما شهد به، مثل سب أبي جهل، أنه لا يكفر بعينه. بل العبارة صريحة واضحة، في تكفيره مثل ابن فيروز، وصالح بن عبد الله، وأمثالهما، كفرا ظاهرا ينقل عن الملة، فضلا عن غيرهما؛ هذا صريح واضح، في كلام ابن القيم الذي ذكرت، وفي كلام الشيخ الذي أزال عنك الإشكال، في كفر من عبد الوثن الذي على قبر يوسف وأمثاله، ودعاهم في الشدائد والرخاء، وسب دين الرسل بعدما أقر به، ودان بعبادة الأوثان بعدما أقر بها)[2]

***

---

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٧٨)

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٠/ ٦٣)

بعد أن لم يجد مندوب الأمم المتحدة من الجمع أي تجاوب مع جميع الشخصيات التي ذكرها، قلب بعض الأوراق أمامه، ثم أخرج ورقة منها، وقال: بما أنني فشلت معكم في اختيار الشخصية التي تتناسب مع الشروط المحددة من جهتنا أو من جهتكم.. وبما أنني لا أرغب في أن يظل الكرسي المتعلق بالإسلام شاغرا حتى لا يتصور أحد من الناس أننا أقصينا هذا الدين العظيم من هيئتنا، أو يتصور أننا منعناه من أن يعرف بنفسه، أو يدلي بمواقفه في القضايا المختلفة، فإنني أتنازل أنا، كما تتنازل الهيئة التي أنتسب إليها بأن نترك لكم الحرية في اختيار الشخصية التي تودون أن تمثلكم، وتمثل دينكم.

بمجرد أن قال ذلك، قام أحدهم، وقال: هذا هو الحل.. وقد اقترحناه عليك من البداية، ولكنك لطرشك وسوء نيتك رحت ترفضه، لتفرض علينا ما يريد هواك، أو ما يريده سادتك.

لم يجد المندوب أمام هذا الصلف والوقاحة إلا أن يطأطئ رأسه، ثم يقول بأدب: لك الحق في ذلك.. لقد أخطأت خطأ كبيرا.. فلو كنت أعلم أن تلك هي مواقفكم لما أضعت وقتي مع كل تلك الشخصيات التي ذكرتها لكم.. والآن من هي الشخصية التي ترونها مناسبة؟

قام أحدهم، وقال: وهل هناك من يشك في الشخصية الي نختارها.. فالأمة كلها مجمعة عليها.. بل كل العقول والفطر السليمة تؤيدها وتشهد لها، لأنها تمثل السنة بجميع معانيها، وكأنها السنة تمشي..

ثم أخذ بيد شيخ كبير أمامه، وقال: إنه هذا.. إنه شيخ الإسلام الأكبر في هذا الزمان.

بمجرد أن قال ذلك، قام آخر، وقال: ويلك أيها السروري المنتن، منذ متى كان فيكم مشايخ الإسلام، وأنتم الذين لطختم منهج السلف بمنهج الحركيين والخوارج.. الشخصية التي تمثل الإسلام حق تمثيل.. بل تمثل السلف والخلف هي شيخنا هذا.

وأمسك بيد شيخ كبير أمامه، ورفع يده، ثم استأنف يقول: إنه الوحيد الذي يحفظ الكتب الستة والمعاجم العشرة والمسانيد السبعة.. وهو الذي لديه الأسانيد العالية، وهو..

قاطعة آخر، وقال: اسكت أيها الجامي الحاقد.. يا من حرفتم منهج السلف، وحولتم أنفسكم إلى سدنة للأمراء تأتمرون بأمرهم، وتنتهون عند نهيهم.. اسكت فما أنت وجماعتك إلا مرجئة.. والمرجئة من شر الفرق والمذاهب..

قام آخر، وقال: اسكتوا جميعا، فلا يحق لأحد أن يمثل منهج السلف إلا شيخنا هذا.. فهو وحده الذي لا يزال يحافظ على منهج الإسلام العتيق، وكأنه ابن بطة أو البربهاري.. هل رأيتم في حياتكم من واجه المبتدعة مثلما واجههم.. هل رأيتم أحدا كتب في مواجهة المبتدعة مثلما فعل؟

رد عليه آخر بقوله: اسكت أيها الحدادي الوقح.. يا من شوهتم منهج السلف.. يا من أضحكتم علينا العالم.. يا من..

قام الرجل إليه ولكمة بشدة.. ثم قام آخر يرد عليه.. وهكذا وبعد دقائق محدودة تحولت القاعة إلى قاعة ملاكمة وجيدو وكاراتيه.. وكان من بينهم رجل مسلح من الجماعات السلفية المسلحة، أطلق رصاصة في الهواء جعلت الجمع يقعون على كراسيهم ممتلئين من الرعب.. بمجرد أن سكتوا، قال: ليس لأحد أن يدعي أن له الحق في تمثيل منهج السلف إلا نحن.. فنحن الوحيدون في الميدان الذين نطبق كل وصايا السلف الصالح بقطع الأعناق ورميها في المزابل.. ونحن وحدنا الذي أحيينا سنة الاسترقاق التي عطلها الملاحدة.. ونحن وحدنا الذين نقيم الحدود كل يوم على جميع أنواع المبتدعة من القبورية والروافض والجهمية.. ونحن وحدنا الذين ملأنا العالم رعبا، فتحقق بنا وعد رسول الله ﷺ بأننا الطائفة المنصورة التي تنتصر بالرعب مسيرة شهر..

قال ذلك وغيره، ثم التفت إلى الجمع، وقال: هل من مخالف لما قلت؟

قالوا جميعا بصوت واحد: كل ما ذكرته صحيح.. ونحن نبايعك.. ونبايع كل من تبايع.. وبورك في أياديكم التي أحيت منهج السلف والسنة..

اغتنم المندوب انشغال الجمع بعضه ببعض، ونجا بجلده منهم من غير أن يراه أحد.. وقد بذل المسلح كل جهده بعدها للبحث عنه لكنه لم يجده..

بل لم يره أحد بعدها إلا في اليوم الذي عقد فيه ذلك المحفل العظيم الذي بثته جميع القنوات الفضائية العالمية مدبلجا إلى اللغات المختلفة..

في ذلك اليوم المشؤوم ظهر مندوب الأمم المتحدة، وهو يقول مخاطبا الجموع الكثيرة ـ بعد أن جاء دور ممثل الإسلام ـ : اعذروني أيها الجمع الكريم.. لقد بذلت كل جهدي لأجد عالما مسلما يتفق عليه الجميع، فلم أستطع لذلك سبيلا.. لكني مع ذلك أحضرت شيئا مهما ربما يعرف بالواقع الإسلامي أحسن تعريف.. إنه فيديو خطير جدا يعينكم على معرفة المسلمين وسر تخلفهم وذلهم وضياعهم.. إنه يمثل المجلس الذي اجتمعت فيه مع كبار علماء المسلمين في البلدة التي انتقوها لاختيار الشخصية المناسبة.. ولن أطيل عليكم، لأدعكم مع الشريط..

قال ذلك، ثم شغل الشريط الذي نقل بدقة كل ما حصل.. وقد تعجبت من كيفية حصوله على كل تلك المشاهد الدقيقة، لكني علمت بعد ذلك أن الأمر رتب بليل، وأن كاميرات وأجهزة صوتية دقيقة زرعت في جميع أنحاء القاعة، لتنقل كل ما يحصل، لأن المندوب وغيره من مستشاريه كانوا يعلمون جيدا بكل ما سيحصل.. وكان ذلك الفيديو عندهم أهم من كل شيء.. بل أغلى من كل شيء.

لقد كان ذلك الفيديو أكبر تشويه للإسلام والمسلمين، وقد ملأ جميع الحاضرين بالعجب.. وكتبت عنه جميع صحف العالم.. ونشرت تفاصيله الكثير من القنوات.. ومنح مندوب الأمم المتحدة بسببه الكثير من الجوائز.

لكن المشكلة الأكبر من ذلك كله هي أن شخصية خطيرة رأت ذلك الفيديو مرارا متعددة، ثم ذهبت إلى البيت الأبيض الأمريكي، وطلبت من رئيسه أن يسحب جيوشه من جميع بلاد العالم الإسلامي.. وأخبره أن المسلمين لا يحتاجون إلى جيوش خارجية.. يكفيهم أن يشتعل عود ثقاب واحد بينهم ليحترقوا جميعا.. ومن هناك بدأ التخطيط للحرب الناعمة التي توشك أن تقضي علينا.

قلوب مقفلة

عندما كنت أقرأ قوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤] كنت أتوهم بسبب حسن نيتي أن الآية الكريمة نزلت في قريش أو من حالفهم من قبائل العرب.. أو من أعلنوا العداوة بعد ذلك لرسول الله ﷺ من اليهود..

لم أكن أعلم أبدا أن قريشا وغطفان وبني قريضة وبني النظير لا زالوا موجودين في كل عصر.. وأن أخطرهم من يحتكر القرآن، ويتصور أنه الوصي عليه.. وأن كل فهم لا يمر على منخاله هرطقة وزندقة وضلالة.

إلى أن عشت الواقع العملي بعد أن خرجت من البرج العاجي الجميل الذي كنت أعيش فيه.. والذي كنت لا أتصور النفاق أو الجهل أو الضلالة إلا في تلك القبائل المحدودة التي واجهت رسول الله ﷺ وأعلنت حربها عليه.

وكانت بداية ذلك صدمة أصابتني في مقاتلي.. سأحكي لكم عنها لتعرفوا الواقع كما عرفته..

في ذلك اليوم دعينا إلى اجتماع بالمجلس العلمي لوزارة الأوقاف في بلد من البلاد الإسلامية، وكان الهدف منه هو تقييم المقالات المقدمة لطلب المشاركة في مؤتمر إسلامي كبير يقام في بعض الجامعات الأوروبية، ويهدف إلى تعريف الغرب بالقرآن الكريم، وبالحقائق العظيمة التي يحويها.

وقد أخبرونا أن وسائل الإعلام الغربية ستنقل المؤتمر مباشرة على الهواء في الكثير من القنوات الفضائية، ومترجما باللغات المختلفة.

كانت فرصة عظيمة شعرت بمنة الله علي فيها، فلعلي أستطيع أن أزكي مقالة أو مقالتين صالحتين قد تكونان سببا لهداية الكثير من الناس.. وخاصة في الغرب الذي يعرض له الإسلام دائما على أنه دين تخلف ورجعية وعنف وغير ذلك.

لكني لم أكن أتصور أبدا أن الرياح تجري بما لا تشتهي السفن..

عندما دخلنا قاعة الاجتماع قدم لنا رئيس الجلسة نصوص المحاضرات، وطلب منا النظر فيها واحدة واحدة، وإبداء الرأي في مدى صلاحيتها.. ثم ما لبثنا أن بدأنا نستعرض المحاضرات الواحدة تلو الأخرى.. وقد شرفني أعضاء المجلس العلمي باعتباري ضيفا على بلدهم أن أقدم لهم المحاضرات وأصحابها ليبدوا آراءهم فيها.. وقد آذاني ذلك التشريف كثيرا، لأني لم أستطع أن أتفوه بكلمة اعتراض واحدة على الترهات التي كانوا يطرحونها، والشغب الذي كانوا يثيرونه..

القرآن الكريم.. والعلوم الكونية:

أخذت المحاضرة الأولى، وكان عنوانها (القرآن الكريم.. والعلوم الكونية)، وأريتها لهم، ثم سلمتهم نسخا من نصها، ثم قلت: هذه محاضرة لطبيب وصحفي[1]، وهو صاحب اكتشافات هائلة في تخصصه، بالإضافة إلى تدينه، واهتمامه بالحقائق العلمية القرآنية، وقد ألف في ذلك كتبا، كلها عشق وهيام في كتاب الله، وفي الحقائق الجميلة التي دعا إليها.. وهو في محاضرته هذه يدعو إلى إعادة قراءة القرآن الكريم من خلال الفتوح العلمية التي فتح الله بها على البشرية، والتي تحقق بها تأويل قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].. وهو..

قام أحد أعضاء المجلس، وقاطعني بقوة، وقال: دعك من كل هذا الإطراء للدجالين والمنافقين، حتى لا يحشرك الله معهم.. فهذا الرويبضة الدعي أعرفه جيدا.. إنه من المنحرفين عن كتاب الله.. إنه من الزنادقة الذين يربطون القرآن بالعلم الحديث..

قال آخر: الذي لا أفهمه، وما ينبغي لي أن أفهمه، هو أن يجرؤ مفسرون محدثون على أن يخوضوا في كل هذا، فيخرج أحدهم على الناس بتفاسير قرآنية فيها طب وصيدلة وطبيعة

---

(١) أشير به إلى مصطفى محمود والضجة التي أحدثها كتابه (القرآن محاولة لفهم عصري)

وكيمياء، وجغرافيا وهندسة وفلك وزراعة وحيوان وحشرات وجيولوجية وبيولوجيا وفسيولوجيا وأنثروبولوجيا[١].

ضحك الجميع.. وقال أحدهم: صدقت.. لا فض فوك يا ناصر السنة، وقامع البدعة.. يا من جعلك الله شوك سعدان في حلوق المبتدعة.

ثم التفت للجمع من أصحابه، وقال، وكأنه يخطب على منبر: ألا ترون من الغرابة أن يخرج تفسير عصري لكاتب صحفي.. يُخرج للناس ما غاب عن النبي الأمي وقومه البدو، من عصريات التكنولوجيا وحديث الطبيعيات والرياضيات وملاحة الفضاء[٢].

قال آخر: المشكلة ليست هنا فقط.. المشكلة أن يتسلل هذا الفهم إلى عقول أبناء الأمة وضمائرهم، فيُرسِّخ فيها أن القرآن الكريم إذا لم يقدم لهم ما لم يفهمه النبي الأمي من بيولوجيا وجيولوجيا وكيمياء عضوية وعلم أجنة وتشريح وأنثروبولوجيا.. فليس صالحاً لزماننا ولا جديراً بأن تسيغه عقليتنا العلمية أو يقبله منطقنا العصري... هكذا باسم العصرية، نغريهم بأن يرفضوا فهم كتاب الإسلام بعقلية نبي الإسلام وصحابته، ليفهموه في تفسير عصري من بدع هذا الزمان.. وباسم العلم، نخايلهم بتأويلات محدثة، تلوك ألفاظا ساذجة صماء عن الذرة والإلكترون وتكنولوجيا السدود وبيولوجيا الحشرات وديناميكا الصلب وجيولوجيا القمر..

قال آخر: هل رأيتم ما قال الأحمق في كتابه الذي أثار ضده كل المخلصين.. لقد قال فيه: (ما قام الدين أبدا منعزلا عن الحياة، ولا قام ليعادي العلم بل إنه قام ليُقدِّم لنا منتهى العلم.. وليقودنا إلى اليقين في مقابل الشك والاحتمال والترجيح.. جاء ليقول كلمة أخيرة.. فلا يمكن أن نخوض فيه دون أن نخوض في كل شيء.. ودون أن نثير القضية

(١) الكلام الوارد هنا منقول بتصرف من نقد لبنت الشاطئ لمصطفى محمود في كتابها القرآن وقضايا العصر.

(٢) المرجع السابق.

كاملة برمتها علما ودينا)[1]

هل رأيتم كيف يتلاعب بالكلمات ليمرر مشروعه الشيطاني؟

قال آخر: ليس ذلك فقط.. بل انظروا إلى الدعي ابن الدعي كيف يفسر قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١]، لقد غفل في تفسيره لها عن قول قتادة: (هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل إلهه الذي يدعوه من دون الله كمثل بيت العنكبوت واهن ضعيف لا ينفعه)[2] ، وراح يفسرها بقوله: (والحقيقة الملفتة للنظر هي وصف بيت العنكبوت بأنه أوهن البيوت، ولم يقل القرآن الكريم خيط العنكبوت، أو نسيج.. وإنما قال بيت.. والعلم كشف الآن بالقياس أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله من الصلب ثلاث مرات.. فلماذا يقول القرآن: ﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ ، ولماذا يختم بكلمة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾؟)

التفت للحضور، وقال بتعجب: أتدرون بماذا أجاب عن هذه الهرطقة وهذا التكلف الممقوت الذي نهينا عنه: (الواقع أن هناك سراً بجيولوجياً كشف العلم عنه..فالحقيقة أن بيت العنكبوت هو أبعد البيوت عن صفة البيت بما يلزم البيت من أمان وسكينة وطمأنينة، فالعنكبوت الأنثى هي التي تبني البيت وتغزل خيوطه، وهي الحاكمة عليه، وهي تقتل ذكرها بعد أن يلقحها وتأكله، والأبناء يأكل بعضهم بعضاً، ولهذا يعمد الذكر إلى الفرار بجلده.. و تغزل الأنثى العنكبوت بيتها ليكون فخاً وكميناً ومقتلاً لكل حشرة.. وكل من يدخل البيت من زوار وضيوف يقتل... أي أنه ليس بيتاً، بل مذبحة..و أنه أوهن البيوت

---

(١) مصطفى محمود، القرآن.. محاولة لفهم عصري، ص ٤٢.

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٣٨)

لمن يحاول أن يتخذ منه ملجأ)[1]

هل رأيتم هرطقة فوق هذه الهرطقة؟.. هل رأيتم أحدا من السلف يفسر القرآن بما يسميه البيولوجيا؟.. هل عرف سلفنا الصالح البيولوجيا أصلا؟.. وما الحاجة لمعرفتها؟

قال آخر: صدقت شيخنا الفاضل.. لو كان هذا الرجل في زمن سلفنا الصالح لقطعوا رأسه ورموه في المزابل.. ولو كان في زمن الأمير العادل خالد القسري لضحى به مثلما ضحى بالجعد بن درهم.. ويل لنا كيف عشنا لهذا الزمن الرديء الذي يتجرأ فيه مثل هذا الصعلوك الرويبضة على الحديث عن القرآن.

خفت أن تخرج الأمور عن السيطرة، وأن يصدروا بعض الفتاوى في حق الرجل، فرحت أقول: لا بأس.. أظن أنكم متفقون على أن المحاضرة غير صالحة لإلقائها في المؤتمر..

قالوا جميعا بصوت واحد: أجل.. وكيف تريدنا أن نعرض على العالم تلك الهرطقة المؤدية إلى الزندقة؟

القرآن الكريم.. وسنن التاريخ:

أخذت المحاضرة الثانية، وكان عنوانها (القرآن الكريم.. وسنن التاريخ)، وأريتها لهم، ثم سلمتهم نصوصها، وأنا أقول: هذه محاضرة لعالم جليل أفنى عمره مع القرآن الكريم تلاوة وتدبرا وبحثا.. وقد استخرج الكثير من النظريات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من خلاله.. وهو في محاضرته هذه يستنبط لنا السنن التي تسير عليها حركة التاريخ.. وهو..

قاطعني أحدهم، وهو يقول: دعنا من الثناء عليه.. فأنا أعرفه أكثر مما تعرفه.. إنه من المنحرفين عن كتاب الله.. إنه يستعمل الرأي في تفسيره لكتاب الله.. بل إنه بدل البحث عن سنن رسول الله ﷺ الواردة في القرآن الكريم راح يبحث عن سنن التاريخ فيه.. أليس

(١)القرآن محاولة لفهم عصري، ٢٥١.

ذلك عجبا؟

ضحك الجميع، فقام آخر، وقال ـ وهو يخطب بصوت مرتفع، ويلوح بيده ذات اليمين وذات الشمال ـ: يا قوم.. إن هذه هي السفسطة بعينها.. لقد رأيته يتلاعب بالألفاظ ليحاول أن يقنع من يقرأ له أو يستمع أن هناك شيئا اسمه (سنن التاريخ)، وأن القرآن الكريم قد دعا إلى مراعاتها.. عجبا.. هل نحن مطالبون بمراعاة سنة رسول الله ﷺ أم مراعاة سنن التاريخ؟

أخرج آخر وثيقة من محفظته، وقال: كنت أعلم أن اسم هذا الأفاك سيعرض هنا، ولهذا أتيتكم بما يثبت إدانته.. فمن كلامه تدينونه.

انظروا ماذا يقول: (لقد بُحثَ في القرآن الكريم الجزء الأعظم من مواده ومفرداته من زوايا مختلفة، وهناك أيضاً زاوية أخرى للبحث تضاف إلى تلك الزوايا، من زاوية مقدار ما تلقي هذه المادّة من أضواء على سنن التاريخ، على تلك الضوابط والقوانين والنواميس التي تتحكّم في عمليّة التاريخ، إذا كان يوجد في مفهوم القرآن شيءٌ من هذه النواميس والضوابط والقوانين)(١)

هل رأيتم كيف يتصور ببلاهته وجنونه أن سلفنا الصالح تركوا له ولغيره أي زيادة يمكنه أن يضيفها لفهم القرآن..

قال آخر: بل انظر إليه كيف ينتقد نقدا مبطنا تفاسير سلفنا الصالح للقصص القرآني.. لقد قال في ذلك: (فمثلا قصص الأنبياءعليهم السلام، التي تمثل الجزء الأعظم من هذه المادة القرآنية. فحصت قصص الأنبياء من زاوية تاريخية تناولها المؤرخون واستعرضوا الحوادث والوقائع التي تكلم عنها القرآن الكريم. وحينما لاحظوا الفراغات التي تركها هذا الكتاب العزيز، حاولوا أن يملؤوا هذه الفراغات بالروايات والأحاديث،

(١) النصوص المنقولة هنا بين قوسين هي من كتاب [المدرسة القرآنية للسيد الشهيد محمد باقر الصدر]

أو بما هو مأثور عن أديان سابقة، أو بالأساطير والخرافات، فتكونت سجلات ذات طابع تاريخي لتنظيم هذه المادة القرآنية)

هل رأيتم كيف يتجرأ على تلك الثروة العظيمة من الروايات التي حكاها لنا سلفنا الصالح عن الأنبياء.. والتي لولاهم ما عرفنا كل تلك التفاصيل؟.. بل لولاهم ما عرفنا الأنبياء أصلا.. هل رأيتم كيف يصفها بالخرافة والأسطورة؟

أخذ أحدهم الوثيقة منه، وراح ينظر فيها مليا، ثم قال والدهشة بادية على وجهه: واويلاه.. انظروا ماذا يقول المجرم.. إنه يريد أن ينفي القضاء والقدر بسنن التاريخ.. اسمعوا ماذا يقول.. إنه يقول:(هذا المفهوم القرآنيّ يعتبر فتحاً عظيماً للقرآن الكريم، لأنّنا في حدود ما نعلم، القرآن أوّل كتابٍ عرفه الإنسان أكّد على هذا المفهوم، وكشف عنه وأصرّ عليه، وقاوم بكلّ ما لديه من وسائل الإقناع والتفهيم. الإنسان الاعتياديّ كان يفسّر أحداث التاريخ بوصفها كومةً متراكمةً من الأحداث، يفسّرها على أساس الصدفة تارةً، وتارةً أخرى على أساس القضاء والقدر والإستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى. القرآن الكريم قاوم هذه النظرة العفويّة، وقاوم هذه النظرة الإستسلامية، ونبّه العقل البشريّ إلى أنّ هذه الساحة لها سننٌ، ولها قوانين، وأنّه لكي تستطيع أن تكون إنساناً فاعلاً مؤثّر، لا بدّ لك أن تكتشف هذه السنن، لا بدّ لك أن تتعرّف إلى هذه القوانين، لكي تستطيع أن تتحكّم فيها، وإلا تحكّمت هي فيك وأنت مغمض العينين.افتح عينيك على هذه القوانين، افتح عينيك على هذه السنن، لكي تكون أنت المتحكّم، لا لكي تكون هذه السنن هي المتحكّمة فيك..)

قال آخر: أعطني الوثيقة لأرى.. أظن أنه لا ينبغي أن نكتفي بمنعه من تقديم المحاضرة فقط، بل علينا أن نبين لولي أمرنا الصالح خطره ليقرر فيه قراره المناسب..

أخذ الوثيقة، وراح يقرأ فيها، ثم صاح: انظروا كيف يفسر قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ

أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.. إنه لا يرجع فيها إلى قتادة ولا إلى عكرمة.. ولا يستند إلى السعدي ولا إلى الطبري.. بل هو يعمل عقله المجرد.. اسمعوا ماذا يقول.. إنه يذكر أن (الأجل أضيف إلى الأمّة، إلى الوجود المجموعيّ للناس، لا إلى هذا الفرد بالذات، أو ذاك الفرد بالذات. إذاً، هناك وراء الأجل المحدود المحتوم لكلّ إنسانٍ بوصفه الفرديّ، هناك أجلٌ آخر وميقاتٌ آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمّة بوصفها مجتمعاً ينشئ ما بين أفراد العلاقات والصلاحيّات القائمة على أساس مجموعةٍ من الأفكار والمبادئ المسندة بمجموعةٍ من القوى والقابليّات. هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن الكريم بالأمّة، هذا له أجلٌ، له موتٌ، له حياةٌ، له حركةٌ، كما أن الفرد يتحرّك فيكون حيّاً ثمّ يموت. كذلك الأمّة تكون حيّة ثمّ تموت. وكما أنّ موت الفرد يخضع لأجلٍ ولقانونٍ ولناموس، كذلك الأُمم أيضاً لها آجالها المضبوطة)

أخذ آخر نص المحاضرة، وراح يتطلع فيها مليا، ثم صاح: ويله.. ثم ويله.. هل ترون ماذا يقول.. إنه يريد أن ينفي كل ما ورد في السنة من أن القيامة تقوم على شرار الخلق.. إنه يزعم أن مستقبل البشرية ممتلئ بالسعادة.. وأن الدين سيتحقق بالصورة الكاملة.. إنه بهذا ينفي الدجال والجساسة.. إنه ينفي كل ما ورد من نبوءات عن مستقبل البشرية الذين يسود فيه الجهل والظلام.. إنه يريد أن يقنع القارئ بأن في الخلف من سيكون أفضل من السلف..

أخذ المحاضرة رجل بجانبه، وقال: أرني.. فأنا أكاد أتيقن أنه رافضي مجوسي ملحد خبيث.

ثم تطلع في المحاضرة قليلا، ثم قال: أجل.. لقد شككت في ذلك منذ البداية.. انظروا إنه يعتبر المهدي بداية المرحلة السعيدة للبشرية.. وهو يدعو إلى توفير الأجواء لظهوره.. بل إنه يعتبر كل من عمل لذلك جنديا من جنوده.

قال ذلك، ثم صاح في الحضور: من سمح لهؤلاء المبتدعة أن يرسلوا محاضراتهم لنا.. وكيف تركتموها تمر؟

ثم مزق المحاضرة بكل حقد، وهو يطلق كلمات بذيئة لا أطيق كتابتها ولا نقلها لكم.

بعد أجواء انفعالية شديدة قام رجل كان أكثرهم هدوءا وتملكا لأعصابه، وقال: دعونا من هذا الهراء.. هل جئنا هنا لنسمع الهرطقة والزندقة.. أحدهم يربط القرآن بالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا.. والآخر يربطه التاريخ.. ماذا يريد هؤلاء من كتاب ربنا؟

القرآن الكريم.. وعلم النفس:

بعد الجدل الطويل الذي خلفته المحاضرة الثانية، قدمت المحاضرة الثالثة ببرودة لأني أعلم أن مصيرها سيكون مثل سابقاتها، قلت لهم: هذه محاضرة بعنوان (منهج القرآن الكريم في علاج الأمراض النفسية)، وهي مهمة جدا، لأن كاتبها طبيب نفسي..

قاطعني أحدهم بقوة، وهو يقول: وما علاقة الطبيب النفسي بالقرآن.. رحم الله امرؤا عرف قدر نفسه.. ويلنا كيف عشنا لزمان يتجرأ فيه الكل على الحديث عن القرآن.

قام آخر، وقال: إن هذا الرجل مثل سابقيه.. إنه يريد أن يجعل من القرآن كتابا في علم النفس.. إنه يريد منا أن نخلط كلام الله المقدس بما اكتشفه علم النفس المدنس.

قال آخر: صدقت.. لقد كتب كتابا في هذا المجال بعنوان (القرآن وعلم النفس).. وذكر أنه ليس (إلا محاولة لجمع الحقائق والمفاهيم النفسية التي وردت في القرآن، والاسترشاد بها في تكوين صورة واضحة عن شخصية الإنسان وسلوكه، لتمهيد الطريق لنشأة دراسات جديدة في علم النفس تحاول وضع الأسس لنظريات جديدة في الشخصية

تتفق مع الحقائق والمفاهيم التي وردت في القرآن)[1]

قال آخر: لقد قرأت الكتاب.. إنه مشحون بالضلال والزندقة.. لقد ذكر في الفصل الأول من الكتاب، والذي عنونه بـ (دوافع السلوك في القرآن) أن مشيئة الله اقتضت وجود الدوافع الفسيولوجية في فطرة كل من الإنسان والحيوان لتحقيق حفظ النوع.. وذكر أنه لا يوجد في القرآن أو السنة ما يشير إلى استقذار هذه الدوافع أو إنكارها أو ما يدعو إلى كبتها، إنما يدعو القرآن إلى السيطرة على الدوافع والتحكم فيها وإشباعها فقط في الحدود التي يسمح بها الشرع لمصلحة الفرد والجماعة.

ألا ترونه في هذا يتفق مع ما يدعو إليه الليبراليون والوجوديون والملاحدة.. فكيف نصلح أنفسنا إن لم نكبت ونقاوم دوافعها الغريزية؟

قال آخر: بلى.. والأخطر من ذلك أنه راح يخضع معجزات الأنبياء لهرطقات علم النفس.. لقد ذكر في كتابه أن هناك نوعا من الإدراك الحسي الخارج عن نطاق الحواس مثل الاستشفاف[2]، والتخاطر[3]، والاستهتاف [4]..وذكر مثالا لذلك بما ورد في القرآن الكريم من أن يعقوب عليه السلام شم ريح ابنه يوسف حينما تحركت القافلة التي تحمل قميصه من أرض مصر بعيدا عن المكان الذي يوجد فيه يعقوب بمسيرة عدة أيام.

قال آخر: والأخطر من ذلك أنه راح يحول العبادات التي أمرنا الله بأدائها إلى مصحات نفسية، ليس الغرض منها العبادة، وإنما معالجة المشاكل النفسية.

قال آخر: أجل.. لقد حول الصلاة بفهمه السقيم من عبادة لله إلى وسيلة لتحقيق الصفاء الروحي والاطمئنان القلبي والأمن النفسي. واعتبر أن انصراف الإنسان عن

---

(١) أشير به إلى د. محمد عثمان نجاتي أستاذ علم النفس بجامعتي القاهرة والكويت كتابه القيم بعنوان (القرآن وعلم النفس)

(٢) هو رؤية الأشياء أو الأحداث البعيدة الخارجة عن مجال حاسة الإبصار.

(٣) هو إدراك خواطر وأفكار شخص آخر يكون في الغالب في مكان بعيد.

(٤) هو سماع نداء أو حديث من مكان بعيد خارج عن مجال حاسة السمع.

مشاكل الحياة أثناء الصلاة يبعث فيه حالة من الاسترخاء التام وهدوء النفس، وراحة العقل وبالتالي يساعد ذلك على تخفيف حدة التوترات الناشئة عن ضغوط الحياة اليومية.

قال آخر: بل إنه ذكر عند حديثه عن الدعاء كلاما خطيرا، فقد قال: (وفي الدعاء يقوم الإنسان بمناجاة ربه ويبث إليه ما يشكوه وما يعانيه من مشكلات تزعجه وتقلقه. وإن مجرد تعبير الإنسان عن مشكلاته يساعده علي التخلص من القلق، وإذا كانت حالة الإنسان النفسية تتحسن إذا أفضي الإنسان بمشكلاته لصديق حميم، فما بالك إذا أفضي بمشكلاته لله سبحانه)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الصيام عن معناه العبادي إلى معناه النفسي.. فذكر أن (للصيام فوائد نفسية عظيمة، ففيه تربية وتهذيب للنفس وعلاج لكثير من أمراض النفس والجسم، فالصيام تدريب للإنسان علي مقاومة شهواته والسيطرة عليها، وبالتالي تعليم الإنسان قوة الإرادة وصلابة العزيمة في سلوكه العام بالحياة.. والصيام يجعل الغني يشعر بآلام الفقير فيدفعه ذلك إلى البر والإحسان وبالتالي تقوي روح التعاون والتضامن في المجتمع)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الزكاة حيث ذكر أنها (تعلم المسلم حب الآخرين، وتخلصه من الأنانية وحب الذات والبخل والطمع وتقوي الشعور بالانتماء الاجتماعي)

قال آخر: ونفس الشيء قام به من تحريف الحج.. حيث ذكر أن (زيارة الأماكن المقدسة تمد المسلم بطاقة روحية روحية عظيمة تزيل عنه كروب الحياة وهمومها، وتغمره بشعور عظيم من الأمن والطمأنينة والسعادة... والحج تدريب علي تحمل المشاق والتعب وعلى التواضع، ويقوي الروابط بين المسلمين من جميع الأجناس والأمم والطبقات)

قال آخر: بل إنه عند حديثه عن التوبة حولها عن مسارها تماما، فذكر أن (الشعور

بالذنب يسبب للإنسان الشعور بالنقص والقلق، مما يؤدي إلى نشوء أعراض الأمراض النفسية.. ويمدنا القرآن بأسلوب فريد في علاج الشعور بالذنب ألا وهو التوبة، فالتوبة تغفر الذنوب، وتقوي في الإنسان الأمل في رضوان الله فتخفف من حده قلقه)

قام آخر، وقال: أرى أن الرجل زنديق، وأنه لا يكفي أن نرمي محاضرته في المزبلة.. بل نحتاج إلى رمي رأسه أيضا..

كبر الجميع لكلماته هذه.. وكبرت معهم خشية على رأسي أن ترمى.. واستغفرت في سري من ذلك التكبير الذي لا أزال نادما عليه.

القرآن الكريم.. وسنن التغيير:

بعد الجدل الطويل الذي خلفته المحاضرة الثالثة، أخذت المحاضرة الرابعة، وقلت لهم: وهذه محاضرة بعنوان (القرآن الكريم.. وسنن التغيير).. وهي لجودت ..

وضع أحدهم يده في فمه، وهو يقول: اسكت.. ولا تنجس فمك بذكر اسمه.. إنه رويبضة مارق، تلميذ من تلاميذ الهنود المشركين.. لقد تأثر بمقولات غاندي في اللاعنف، بل هو يتصور أن الدين يمكن أن ينتشر ويؤمن الناس به من غير أن نستعمل أي سيف أو رمح.. إنه يريد منا أن نقتدي ببلال الحبشي والحسين.. لا بخالد والقعقاع.. إنه يريد أن يجعل من المسلمين شعباً من الشهداء، أو أمة من القتلى.

قال آخر: صدقت.. فقد رأيته في كتابه [مذهب ابن آدم الأول] يدعونا إلى أن نقول لمن يريد قتلنا: ﴿ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَّ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٨]غافلا على أن الآية مرتبطة بشرع من قبلنا، لا بشرعنا.. لأن شرعنا شرع لنا أن نعاقب، بل أن نبادر إلى العقوبة.. فلا دين من دون عنف.. وهو يقول باللاعنف.

قال آخر، وكان يظهر عليه الهدوء والوقار[1]: لقد بحثت عن الرجل.. فوجدت أنه ليس عربيا.. لا أبا ولا أما.. بل هو شركسي.. بل هو ـ وإمعانا في حبه لقومه ـ لا يرتدي العمامة التي ارتداها رسول الله ﷺ.. وإنما يرتدي القبعة الشركسية.

وبعد بحث طويل لي في هذا المجال وجدت أن الشراكسة الذين ينحدر منهم هذا الرويبضة متأثرون بالديانة الشامانية القديمة التي كانت تنتشر في القوقاز.. ومتأثرون أيضا بعقائد الزرادشتية والهندوسية والبوذية.. لأن الشراكسة وغيرهم من الأمم غير العربية، وبسبب بعدهم عن لغة القرآن الكريم، بقوا محافظين على الكثير من الهرطقات التي كان يؤمن بها أسلافهم.

قال آخر: صدقت.. فاللاعنف هو عقيدة دينية هندوسية وبوذية وجاينية وطاوية وكونفوشية وتيبيتية، وهي عقيدة عند ديانات جديدة مثل نيو أيج وغيرها.. وغاندي حينما نادى باللاعنف، كان يرتكز إلى مبادئ دينية هندوسية طبقية.. ففي الهندوسية خمس طبقات.. وتعتبر الطبقة الخامسة أدنى تلك الطبقات، ويتوجب عليها دينياً أن تلتزم بمكانتها الطبقية.. وكان غاندي من تلك الطبقة.. ولهذا أطلق شعار اللاعنف.

قال آخر: صدقت.. فاللاعنف في تلك الديانات الوثنية كالهندوسية والبوذية والجاينية مبدأ ديني أساسي، حيث يصور بوذا وجيان وهما (إلهان هندوسيان) يتعايشان مع الأفاعي والنمور والحيوانات. وتنتقل البقرة بحرية وتتبختر في مشيتها في دروب وشوارع الهند، لأن مبدأ اللاعنف الهندوسي يوجب على الناس تقديسها وعبادتها. فلا عنف مع الحيوان ومع الطبيعة ومع النبات ومع الحجر نفسه.. وكلنا نسمع عن النباتيين الذين لا يأكلون لحم الحيوان.. وذلك انطلاقاً من مبدأ اللاعنف الذي يمنع ذبح الحيوان.

قام آخر، وراح يخطب بصوت مرتفع، وهو يلوح بيده ذات اليمين، وذات الشمال:

---

(١) الانتقادات الموجهة لجودت سعيد هنا منقولة بتصرف شديد من مقال بعنوان: انتهى زمن جودت سعيد، لمحمد نمر المدني.

يا قوم.. ما هذا.. أين وصل بنا الأمر.. هذه عاقبة ابتعادنا عن منهج السلف.. أخبروني بربكم ما حاجتنا لأن نعتقد بعقائد أولئك الذين حرموا من نعمة الإسلام ؟.. ما حاجتنا لأن نعتقد بعبارة قالها قزم حقير منبوذ اسمه غاندي؟

ثم راح يسرع في كلامه، ويرطن فيه، حتى أني لم أفهم ولو كلمة واحدة، فقد كانت كلماته يسابق بعضها بعضا، وكل كلمة تالية تبلع التي سبقتها أو تذبحها..

وبعد فترة طويلة اختلط فيها كلام البشر بأصوات الأنعام، جلس وهو يلهث من كثرة حديثه.. فقام آخر أكثر هدوءا، وقال: لا بأس.. مهما كان شأنه.. ومهما كانت الديانة التي تأثر بها.. دعونا نطلع على محاضرته.. فلعله تاب فيها عن تلك الهرطقات التي كان يؤمن بها.

قال ذلك، ثم أخذ المحاضرة، واطلع عليها بسرعة، ثم صاح، وكأن عقربا لدغته[1]: انظروا إلى السفيه الرويبضة ماذا يقول.. يبدو عليه أنه ليس متأثرا بتلك الديانات فقط.. بل هو متأثر أيضا بالشيوعية الملحدة.. أنظروا.. لقد قال معلقا على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]: (الفكر الماركسي لبه ومبتداه ومنتهاه في إدراك محتوى هذه الآية، حيث لمحوا قدرة الإنسان على صنع التاريخ، والقيام بعملية التغيير، فهذا الضجيج الذي أحدثه الفكر الماركسي خلال أكثر من مئة عام، إنما كان تبنّيهم لهذه الفكرة وإدراكهم لها)[2]

هل رأيتم هرقطة فوق هذه الهرطقة.. ألا ترون من العجب أن يصدر مثل هذا الرأي عن رجل يتصور أنه داعية، بل يتصور أنه يسعى لحل مشاكل الأمة الإسلامية، فإذا به

---

(١) بعض الانتقادات الموجهة لجودت هنا من مقالات لعادل التل في مجلة البيان في الأعداد ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦. قام بجمعها مع غيرها ونشرها في كتاب بعنوان [أخطار النزعة المادية في العالم الإسلامي]

(٢) اقرأ وربك الأكرم، جودت سعيد، ص٢١٩..

يشهد للفكر الـماركسي بالأصالة والثناء عليه، وكأنه بأسلوبه هذا يُشعر الناس أن مصدر الفكر الماركسي من كتاب الله، وظن أنه بهذه الطريقة - ومن خلال ذكر الآيات القرآنية - يتمكن من تدعيم منهجه المادي بين المسلمين..

أخذ آخر المحاضرة، واطلع عليها قليلا، ثم قال: الأغرب من ذلك هو دعوته الشباب المسلم إلى القيام بعملية التغيير، انطلاقاً من هذا المبدأ، إنها دعوة سافرة لتبنّي منهج المادية، اسمعوا ماذا يقول: (وكذلك إذا تذكرنا أن علينا أن لا نبخس الناس أشياءهم، وأن الحكمة لا تضر من أي وعاء خرجت، فإن الاعتراف بجانب الصواب الذي في النظرية الماركسية لا يضرنا شيئاً، ولكن إذا رفضنا جانب الصواب بسبب جانب الكفر الذي عندهم لا نكون مصيبين)[١]

هل رأيتم جنونا فوق هذا الجنون.. فأي حكمة عند الماركسيين الشيوعيين الملاحدة، وأي صواب لديهم.. وهل يمكن لعاقل أن يصدق أي مقولة لهم؟

قال آخر، وهو يمسك بالمحاضرة: انظروا إليه، وهو يدعونا إلى الاطمئنان على أنفسنا من الشيوعيين، بل يؤكد أن الخوف على آيات الله مستبعد في ظل الأفكار الشيوعية فيقول: (لم يعد هنا ما يجعلنا نخاف على آيات الكتاب، لأن آيات الآفاق والأنفس ستبين أن آيات الكتاب هي الحق)[٢]

إن لسان حال هذا الإمعة يقول من حيث لا يشعر: خذوا أفكار الشيوعيين ودَعوا كفرهم.. ولعله يستمد هذا من المثل الشعبي المضلل: (خذ من أقوالهم وما عليك من أفعالهم)

بل إنه عبر عن ذلك صراحة، فقال: (ولكن حين يصل (الماركسي) من أقواله إلى

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص٨٠.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص٨٠.

القول: بأنه أصبح بناءً على ذلك من الواجب نبذ كل نظرية إيمانية على الإطلاق – هنا نقول له: إن هذه النتيجة من تلك المقدمة هي الفكرة الطوباوية الناشئة عن الكراهية والعاطفة لا عن الدراسة الموضوعية)[1]

قال آخر: صدقت.. إنه يدعو في محاضرته بصراحة للتمسك بالفكر الماركسي من خلال الدعوة للأخذ بجانب الصواب الذي اكتشفه في النظرية الماركسية، فيقول: (وحين يقول الماركسي: إن دراسة التاريخ الاجتماعي أصبحت علماً، ينبغي ألا نقول له أخطأت، بل نقول له: هذا حق، وإذا اعتبر أن مظاهر الطبيعة قادرة على إعطائنا حقائق موضوعية، علينا أن نراه تقريراً بأن آيات الآفاق تعطي حقائق موضوعية، ونزيد له أيضاً: بأن آيات الأنفس كذلك تعطي حقائق موضوعية)[2]

هل رأيتم يا قوم في حياتكم جميعا هرطقة أعظم من هذه الهرطقة.. لو أن هذا الرجل كان في عهد سلفنا الأول، وملوكنا الصالحين العادلين، وخصوصا المتوكل منهم، لقطع لسانه كما قطع لسان ابن السكيت..

قال آخر متحسرا: إن سكوتنا نحن عن هذا وأمثاله هو الذي جرأهم على الدين.. ولو أننا انتهجنا معهم منهج سلفنا الصالح لما قامت لهم قائمة، ولدخلوا جحورهم مثلما دخل المعتزلة في جحورهم في عهد سلفنا الأول.

قال آخر: كف عن حزنك يا أخي.. فما باليد حيلة.. لقد كان لهم ملوك عادلون، وخلفاء صالحون، أتاحوا لهم قمع المبتدعة، أما نحن الآن.. فأنتم تعلمون أن هذه الهيئات الدولية المبتدعة صارت تتدخل في كل صغيرة وكبيرة من شؤوننا باسم حقوق الإنسان.. حتى أنهم ألغو الرق.. وهل يمكن لدين من الأديان أن يقوم من غير تشريع الرق؟

(١) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص٨١.

(٢) حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، ص٨١.

قال آخر: لكن لابد من عمل ما.. فلا ينبغي أن نرى أحكام الأسلام وهي تنسخ حكما حكما.. ألغو الرق.. وألغو الخلافة العادلة.. وسيأتي اليوم الذي يلغون فيه الصلاة.

قال آخر: لا تقلقوا.. فالأمور تسير في صالحنا.. وستريكم الأيام رجالا، يحيون هذه السنن جميعا، بإذن السلطان العلني، أو بإذنه الخفي.

***

بعد أن قدمت الكثير من المحاضرات التي تحاول أن تستنبط من القرآن الكريم ما يرتبط بجوانب الحياة المختلفة، لم تبق بين يدي إلا مجموعة محاضرات كنت أنوي ألا أعرضها أبدا، لأنها لم تكن تتناسب إطلاقا مع الجهة التي سيقام فيها المؤتمر.. بالإضافة إلى أنها بالكاد تفهم من العرب المختصين، فكيف بالأجانب..

لكني مع ذلك، وإبراء للذمة، ولبلاهتي وقلة تجربتي، رحت أقدمها لهم..

أخذت المحاضرة الأولى، وقلت ببرودة: هذه محاضرة بعنوان (لا النافية الجنس ومواردها في القرآن الكريم).. ولا أظنه يصلح لهذا المؤتمر.. فهو..

قاطعني أحدهم، وهو يقول بحماسة: كيف تقول هذا.. أعرف صاحب هذا البحث جيدا.. لقد كتب في كل الحروف القرآنية، وبين مواضعها المختلفة، وأحصاها إحصاء دقيقا.

قال آخر: أجل.. محاضراته في قمة الجمال والروعة.. وهو فوق ذلك فصيح.. يخرج الحروف مخارجها بدقة عالية.

قال آخر: أجل.. أجل.. لابد أن نمرر هذه المحاضرة.

قلت: ولكن.. أنتم تعلمون جيدا لمن نريد أن نلقي هذه المحاضرة..

قالوا جميعا بصوت واحد: دورنا أن تقدم لنا المحاضرات، لا أن تلقننا ماذا نفعل..

صمت، ثم أخذت محاضرة أخرى بعنوان (وجوه إعراب البسملة)، فطاروا فرحا..

ووافقوا عليها بالإجماع.

أخذت محاضرة أخرى بعنوان: (التحقيق العلمي في عدد فتية أهل الكهف)، فوافقوا بالإجماع من غير اعتراض.

قلت لهم: ولكن ألا ترون القرآن الكريم نهى عن البحث في هذه المسائل؟

غضب أحدهم، وقال: ولكن سلفنا بحثوا فيها حتى أنهم سموا كلب أهل الكهف.. إن معرفة الحقيقة في هذا الباب تدل على الرسوخ في العلم.. ونحن نميز أعلمنا بمعرفة هذه الدقائق.

وهكذا بقيت أقدم لهم أمثال هذه المحاضرات، فيوافقون عليها من غير أي اعتراض.

بعد أيام من ذلك الاجتماع أقيم المؤتمر، ونقلته القنوات الفضائية العالمية، وحضره الأساتذة الكبار.. وقد خرجوا بما أكد لهم كل مواقفهم من الإسلام والمسلمين.. بل وأضافوا إليها اعتبار القرآن الكريم سببا فيما يعيشه المسلمون من تخلف وعنف ورجعية.

مناظرة فاشلة

من منطلق قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] كنت أتابع باهتمام المناظرات التي تجري أحيانا بين علماء المسلمين، ورجال الدين من المسيحيين، ولكني لم أكن أحلم أبدا أن أكون أنا في اليوم من الأيام طرفا في هذا الحوار.. وطرفا فاشلا فيها.

لقد كانت فرصة عظيمة أتيحت لي في الجامعة التي أعمل بها، وفي قسم مقارنة الأديان.. فقد زار بلدتنا بعض رجال الدين المسيحي من العرب، وراح يطلب من الجامعة بكل ثقة مناظرة علمية حول مدى التحريف الذي أصاب القرآن الكريم، وأنه لذلك ليس كلمة الله الأخيرة للبشرية.

وقد كان الموضوع سهلا بالنسبة لي، فلم أحتج إلى تحضير كثير، بل اكتفيت بمراجعة بعض ما كتبته في كتابي (الكلمات المقدسة) الذي خصصته لهذا الغرض.

وجاء اليوم الموعود، وحضر الناس، وبدأت في الحديث حول ما حفظ الله به كتابه من التغيير والتبديل والتحريف.. واستدللت لذلك بالوثائق التاريخية الكثيرة..

وعندما جاء دوره، قال لي، أو للجمهور: أنا ليس من طبعي أن أكثر الحديث في التفاصيل.. أنا أحب فقط أن أدلي بالبينة بسهولة ويسر ليفهمني جميع الناس.. فأجبني بكل صراحة عن كل سؤال أسألك إياه.

قلت: أنا حاضر.. فاسأل ما بدا لك.

تصورت في البداية أنه سيسألني عن بعض الشبهات التي يوردها المبشرون والمستشرقون واللادينيون، والتي عفا عليها الزمن، وحفظت الردود عليها كما أحفظ السورة من القرآن.. لكني فوجئت أنه يسألني أسئلة لا علاقة لها بكل ذلك.. فعلمت أنه يخطط لفخ يريد أن يوقعني فيه.

قال لي: أليس الإقرار أعظم الأدلة؟

قلت: بلى.. ولكن ما تقصد؟

قال: أرأيت إن أتيتك بشهادات العقلاء والعلماء من أهل دينك على تحريف القرآن أكون بذلك قد برهنت البرهان الكافي على التحريف؟

لم أدر ما أقول، فأنا أعلم أني لو قلت له: لا أقبل ذلك.. فسيغلبني، لأننا نحن أيضا نستدل على ما وقع في الكتاب المقدس من التحريف بشهادات البروتسنت واختلاف النسخ في الكتاب المقدس ونحو ذلك.

وإن قبلت.. فسأصدم أيضا.. لأني لا أدري ما الذي يخطط له.

لم أدر إلا وأنا أقول من غير أن أشعر: أجل.. فعلماء المسلمين هم الذين يمثلون الإسلام.. ولكن أنت تعلم أن في المسلمين مذاهب وطوائف..

قال: لا بأس.. أنا أراعي هذا.. فأخبرني ما هي الطوائف الكبرى في المسلمين، والتي يمكن الاستناد إليها، والاعتماد على أقوالها.

قلت: الطائفتان الكبيرتان في المسلمين – كما تعلم – هما السنة والشيعة.

قال: جيد جدا.. إذن لو أني أثبت لك بأن السنة والشيعة كلاهما يقولان بتحريف القرآن.. فهل تسلم لي؟

لم أدر ما أقول.. وما الذي يخطط له.. فقد فاجأني بما لم أحضر له نفسي..

لكني مع ذلك، وبحكم سلامة فطرتي في ذلك الحين من النزاعات الطائفية التي أصابت المسلمين في مقاتلهم، قلت: لا بأس.. فأنا على ثقة من أن القرآن الكريم متواتر، وأن ذلك متفق عليه عند المسلمين جميعا.

نظر إلي، وقال: أظن أن معلوماتك لا تزال قديمة.. أو أظن أنك إنسان كلاسيكي لا تزال تتعلم من الورق فقط.. أو أنك لا تعرف عالم النت، وعالم القنوات الفضائية.

قلت: وما علاقة ذلك بما نحن فيه؟

قال: إن أبسط إنسان متابع لهذه الوسائل العصرية يخبرك بأن المسلمين مختلفون في تواتر القرآن وعدم تحريفه.

قلت: هذا مستحيل.. لدي آلاف الشهادات من جميع طوائف المسلمين تثبت أن القرآن الكريم الذي بين أيدينا هو نفسه الذي أوحي لرسول الله ﷺ.

قال: لن أتكلم أنا كما ذكرت لك.. بل سأترك رجال دين مسلمين يتحدثون بدلا عني.

التفت لعلي أرى هؤلاء العملاء الخونة الذين يتحدث عنهم، لكني لم أجد أحدا.

نظر إلي بسخرية، وقال: لقد ذكرت لك أنك لا تزال تعيش في القرون الوسطى.. ثم أخرج فلاشة صغيرة من جيبه، وقال: العلماء الذين أتحدث عنهم موجودون هنا.

ثم بادر ووضع الفلاشة على الجهاز، وربطها بشاشة كبيرة، ثم قال: ها أنا المسيحي المسالم قد تركت حصتي من المناظرة لكم أنتم أيها المسلمون.. فإن شئت أن تجيبهم، فأجبهم بدلا عني.

لقد أحضرت علماء من كلا الطائفتين الكبيرتين كلاهما يذكر عن الطائفة الأخرى أنها تقول بتحريف القرآن، فإن جمعنا بينهما، فهذا يعني بالضرورة أن المسلمين متفقون على تحريف القرآن.

بدأ الشريط، وقد ظهر فيه جمع من علماء المسلمين بعضهم يرتدي عمة أزهر مصر، وبعضهم يرتدي عمة أزهر لبنان، وآخرون يرتدون ملابس الهنود والباكستانيين والسعوديين وغيرهم.. وكان الكل عليه سيما العلماء ووقارهم.

وتكلم الجميع.. وكانت الأحقاد بادية على وجوههم، وفي ثنايا الألفاظ التي ينطقون بها، فقد كانوا كلما ذكروا كلمة (رافضة) يعقبونها بكلمات مثل (الخبثاء.. المجرمون..

الكفار.. الزنادقة.. أخبث الأمم.. الأراذل).. وألقاب أخرى كثيرة أنزه لساني عن ذكرها.

وقد حاول الجميع بكل طرق الاحتيال أن يلبس الشيعة القول بتحريف القرآن.

بعد أن انتهى من استعراض الشريط، أردت أن أتحدث وأقول بأن هؤلاء كذبة وليسوا علماء، وأن أكبر علماء الشيعة على مدار التاريخ يشهدون على سلامة القرآن من التحريف، وأن القرآن الذي يتلونه هو نفسه القرآن الذي يقرؤه كل المسلمين.. وأن كبار علماء السنة يشهدون لذلك أيضا.

لكنه لم يتح لي الفرصة.. بل قال لي: لا تتصور نفسك أكبر من هؤلاء العلماء.. فلولا أنهم ثقاة ومقبولون عند المسلمين لما كانت لهم كل تلك المناصب..

ثم نظر إلي باحتقار، وقال: أنت أيها النكرة.. لست سوى رويبضة بالنسبة لهم.. أخبرني ما هي القنوات التي استضافتك لتمثل علماء المسلمين؟

سكت.. فأنا أعلم أني لم أدل بتصريح واحد في حياتي لقناة واحدة لا تلفزيونية ولا أرضية.. ولا حتى إذاعة.

قال: فأخبرني في أي مؤسسة علمية رسمية انتميت أو رأست؟

قلت: أنا أستاذ متخصص في هذه الجامعة.. ألا يكفي هذا؟

قال: هناك مئات الآلاف مثلك.. وهم متواضعون.. ويستفيدون من هؤلاء المشايخ الذين تريد أن ترفع نفسك إلى مكانهم.

أردت أن أتحدث، فقال لي: سمعنا الطرف الأول، وهم أهل السنة الذين أثبوا أن الشيعة يقولون بتحريف القرآن.. والآن هيا نستمع إلى ما يقوله الشيعة في تحريف أهل السنة للقرآن.. ليكمل لنا الدليل بشقيه.

لست أدري كيف كنت على ثقة من أنه لن يجد من علماء الشيعة من يقول بذلك.. لكني فوجئت بإحضاره علمين كبيرين.. كلاهما من الشباب، وكلاهما يدير قناة فضائية

إحداهما في بريطانيا، والثانية في أمريكا.

وقد راح هذان الأحمقان يخبران العالم أجمع بأن أهل السنة يقولون بتحريف القرآن.. ويأتون بالشهادات على ذلك.. والتي لا يقبلها عدول أهل السنة وعلماءهم الكبار، لأن المصحف الذي يتداوله أهل السنة هو نفسه المصحف الذي يتدوله الشيعة.

أردت أن أقول هذا، لكنه قال لي: لا بأس.. أنا أحترم وجهة نظرك.. ولكنها تبقى وجهة نظر شخصية لا تمثل المسلمين.. ولا ترقى لأن تمثل الإسلام..

صحت بقوة: كيف تكون وجهة نظر شخصية.. وهي تمثل أكثر المسلمين؟

ضحك، وقال: إذن ما دام الأمر كذلك.. فلنجر تصويتا، لتعرف هل أنت تمثل وجهة نظرك الشخصية.. أم أنك تمثل المسلمين والإسلام؟

قلت بكل ثقة: أنا أقبل ما تطرحه علي.

قال: فلنبدأ بهذه القاعة.

كنت على ثقة تامة من أن القاعة ستصوت لصالحي، فقلت: أنا أقبل بما طرحته.

سألني: هل جمهور هذه القاعة من أهل السنة.. أم من الشيعة؟

صاح المدير من بعيد: نحن من أهل السنة والجماعة.. نعوذ بالله أن نكون من الرافضة الخبثاء.

هنا نظر إلي رجل الدين المسيحي، والابتسامة الصفراء بادية على وجهه، وهو يقول: فلنبدأ التصويت..

التفت للجمهور، وقال: من كان منكم يصوت على أن الشيعة أو الرافضة يقولون بتحريف القرآن، فليرفع يده.

لقد كانت مفاجأة كبيرة بالنسبة لي.. فقد ارتفعت كل الأيدي.. ولم يسعفني بصري لأرى الأيدي التي لم ترفع.

نظر إلي، وقال: أظن أنني فزت.. لكن لا بأس.. سأكمل التصويت.. من منكم – معشر الحاضرين – يرى بأن الشيعة أو الرافضة لا تقول بتحريف القرآن.

رفع رجل في آخر القاعة يده، وقال: أنا أقول بذلك..

لكنه ما إن قال ذلك حتى رماه الناس بأبصارهم، ثم راحوا يرمونه بأيديهم وأرجلهم بكل قوة، ويقولون: لقد كنا نشك في كونك عبدا من عبيد الرافضة، وعميلا من عملائهم..

انتهت المناظرة، وفاز رجل الديني المسيحي، وخصم من مرتبي مبلغ محترم كلفني أياما من التقشف.. وكان الناس ينظرون إلي فترة من الدهر، وكأنني مجرم أو خائن أو عميل، وقد كنت أتصور أن ذلك بسبب هزيمتي أمام رجل الدين المسيحي، لكني علمت بعد ذلك أن سبب كل تلك القطيعة التي ووجهت بها هي دفاعي عن الشيعة في عدم قولهم بتحريف القرآن.

بعد فترة دعيت إلى مناظرة أخرى تتعلق بعصمة النبي ﷺ، وطهارة عرضه الشريف.. فعلمت أنني سأهزم فيها أيضا، لأنني بعد أن حصل لي ما حصل صرت أتابع القنوات الفضائية، وأزور شبكات التواصل الاجتماعي، وأرى تلك الهدايا المجانية التي يقدمها المسلمون للمخالفين لهم.

القاتل البريء

عندما تحصل الجرائم الكبيرة، ونذهب إلى المحاكم نرى بأعيننا مصداق ما قاله الشاعر:

وقــاتل النـفــس مأخوذ بفـعلـته

وقــاتل الــروح لا يـدري به أحــد

لا تستعجلوا في الإنكار علي حتى تعرفوا القصة من آخرها إلى أولها.. لأني وبحكم الانتكاسة التي نعيشها في واقعنا المرير أرى أننا نحتاج أحيانا لنبدأ من الآخر، ثم ننطلق إلى الأول.. فلا يشرح الآخر مثل الأول.

في تلك المحكمة بدأ القاضي الجلسة، وطلب إحضار المتهم الذي قتل شيخا من مشايخ الصوفية الذين زاروا تلك البلدة بمناسبة إحياء مولد من الموالد.

كان المتهم رابط الجأش، مع أن كل الأدلة ضده.. وكأنه متيقن بالبراءة، أو ينتظر أن يزف إلى الجنان.

نطق المدعي بدعواه، ولم يحتج إلى أي مشقة في إثباتها، فقد حصل القتل في المسجد، وعلى عين الإمام الذي كان على المنبر، وفي موضع يسمح له برؤية الحادثة بدقة، ولهذا بمجرد أن انتهى من دعواه طلب القاضي الإمام ليقدم شهادته.

كان الإمام فحلا في الخطابة، فلذلك صعد إلى المحل الذي يستجوب فيه الشهود، وراح يقدم خطبة في حرمة القتل، وفي فداعة الجريمة التي قام بها المتهم.. ولم يفته أن يطلب من القاضي أن يقوم بالقصاص العادل منه.. ولم يفته كذلك أن يشكر الشرطة والداخلية والحكومة ورئيس الجمهورية والقاضي.. وغيرهم على الجهود التي يقومون بها من أجل حماية المجتمع من أمثال ذلك المجرم.

كان يتحدث.. وكان الحضور يكبرون أحيانا، وأحيانا يصفقون.. وكان القاضي

حييا، فترك له الفرصة ليتحدث..

أما محامي المتهم، فلم يجد إلا أن يطلب التيسير عليه في الحكم باعتباره رب أسرة فقيرة، وكونه متدينا جديدا، وقد تصور أنه يقوم بعمل شرعي..

وعندما قال هذا قام الإمام بدون استئذان، وراح يصيح: ما هذه الجريمة.. كيف يتحول الدين إلى أداة للقتل.. أطالب بتسليط أشد العقوبات عليه.. لأنه استخدم الدين في الإرهاب؟

أوقفه القاضي بعد أن هدده بإيداعه السجن إذا لم يسكت..

كان المتهم يرفع يده كل حين ليطلب الحديث لكن القاضي لم يكن يسمح له.. وكان محامية يقترب منه، ويطلب منه أن يستجدي القاضي.. فلم يجد المسكين إلا أن يكتفي بالاستجداء دون أن يعرض ما يريد أن يقوله بدقة.

لم تطل المحاكمة كثيرا.. وكان الحكم فيها واضحا، وهو إعدام القاتل..

وبمجرد أن نطق القاضي بالحكم صاح الإمام وبطانته مكبرين.. شاكرين للقاضين الحكم العادل الذي نطق به.

بعد تلك الجلسة رحت إلى بيتي، وفتحت هاتفي الذكي الذي كان يسجل صوتا وصورة كل ما حصل في ذلك اليوم المشؤوم..

ظهر الخطيب، وهو في طريقه إلى المنبر يلتفت للصفوف الأولى، وإذا به يرى شيخا من مشايخ الطرق الصوفية يجلس صحبة مريديه الذين تعودوا أن يحضروا لذلك المسجد مع ما يسمعون فيه.. ولكنهم رعاية لوحدة المسلمين ولحرمة الجمعة، كانوا يحضرون ولا يبالون لما يقال لهم، أو ما يقال فيهم.

عندما صعد الخطيب المنبر راح يستجمع كل قواه الغضبية ليكون منها صاروخا نوويا يهجم به على المحيطين به، ليقضي عليهم قضاء نهائيا، وهو ضامن بأنه لا يوجد أحد

يجرؤ على مقاطعته.. لأنهم جميعا ملتزمون بوصية رسول الله ﷺ : (من قال لصاحبه والامام يخطب انصت فقد لغا ومن لغا لا جمعة له)[1]

بعد انتهاء الآذان قام الخطيب، ورمى بشرارة بصره إلى الحضور الذين كان أكثرهم من العوام البسطاء من أتباع شيخ الطريقة، وكان بينهم زمرة من أصحاب الشيخ وتلاميذه.

قال الشيخ في خطبته[2] بعد الحمدلة والصلاة على رسول الله ﷺ: بما أنكم عرفتم – في الخطب الماضية –أن كل الشرور الموجودة في الأمة طرأت عليها بسبب انحرافها عن هدي نبيها وسلفها الصالح.. فإن هذا يَجعلنا نحرص ونبحث عن الخلل الذي أدخل هذه الانحرافات في الأمة..

والتساؤل الذي يطرح نفسه بإلحاح، ويحتاج إلى أن نجيب عنه بقوة وجرأة هو من السبب في ذلك؟

من هم المجرمون الذين أوقعوا الأمة فيما نراه من تخلف وضياع وتبعية وجهل وخرافة؟

من يتحمل وزر كل الضياع الذي تقع فيه الأمة؟

البعض يعيد لذلك لأسباب سياسية من ضعف الحكام، أو تسلط الاستعمار.. ونحو ذلك.. وكل ذلك غير صحيح..

السبب أيها المسلمون واضح، وهو بيننا يمشي على قدمين.. وقد نراه في مساجدنا.. بل قد نراه في الصفوف الأولى منها..

إنهم الصوفية المشركون الملحدون الخرافيون القبوريون..

---

(١) رواه الترمذي والنسائي.

(٢) بعض ما نورده هنا من الخطبة منقول بتصرف من كلام للشيخ محمد بن عبد الله الإمام، من كتاب له بعنوان (شركيات وعقائد الصوفية)، ونفس الكلام يردده أصحاب المنهج السلفي.

أنه تلك القبور والأضرحة والمقامات التي صارت تعبد من دون الله.. لقد صارت مساجد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها محال يعبد فيها غير الله.. لأنها مبنية على القبور أو القبور تُدخلُ فيها..

هل تدرون لم بُنيت المساجد على القبور، والقِباب المشيدة على القبور؟

الجواب بسيط وواضح.. لقد وضع الزنادقة أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ تبين جواز ذلك، بل تستحسنه، ثم جاء فقهاء ومفسرون ومحدثون وأدعياء علم كتبوا في ذلك، ونشروه بين الناس إلى أن صار الناس مشركين.

تركوا الاستعانة بالله، وراحوا يستعينون بأصحاب القبور.. تركوا تمجيد الله، وراحوا يمجدون أصحاب القبور.. نسوا أيام الله التي أمر بتعظيمها، وراحوا يعظمون موالد مشايخ الشرك والضلالة.

لقد كان كفار قريش أبو جهل ومن معه وأبو لهبٍ ومن معه أكثر حرمة وتدينا من كثير ممن يسمون أنفسهم مسلمين[1].. وممن يتصورون أنهم ينالون أجر الصفوف الأول في المساجد.. ونسوا أنهم مشركون لا يرون الجنة، ولا يشمون ريحها.

لقد كان أبو جهل وأبو لهب والوليد وغيرهم من المشركين إذا اشتد بهم الأمر التجؤوا إلى الله وأخلصوا نداءهم وتعلقهم ودعاءهم لرب العالمين.. تصوروا لقد كانوا، وهم مشركون لا يتعلقون بأصنامهم، لأنهم يعتقدون أنها لا تعطيهم ما يريدون، ولا تدفع عنهم ما يحذرون.

لكن للأسف الشديد صار المسلمون الآن عند الشدائد يتوجهون إلى غير الله رب العالمين.

---

(١) يحرص دائما دعاة الاتجاه السلفي على تفضيل مشركي الجاهلية على المسلمين.. وهناك أدلة مفصلة على هذا في محلها من هذه السلسلة.

يوجد عندنا في وفي مسجدنا هذا صنم من الأصنام لا أسميه، فكلكم يعرفه.. يأتي إليه الناس يتمسحون به، أما الله فقد نسوه.. أما الله فقد ضيعوه.. أما الله فقد تركوه، وما وثقوا به، وما أحسنوا الظن به، ولا عبدوه ولا يرجون رحمته ولا يخشون عذابه.

يا سبحان الله كيف ضاعت أمتنا، وكيف تاهت، وكيف انطلى هذا البلاء العظيم على الأمة والتوجه بكل العبادة إلى صاحب القبر، لا يخاف إلا صاحب القبر، لا يرجو إلا صاحب القبر، لا يُعظم إلا صاحب القبر، لا يذبح إلا لصاحب القبر.

تصوروا أن بعض عبدة القبور عندنا إن أراد أن يحج يذهب ويستأذن من صاحب القبر، وإن رجع من الحج مر على صاحب القبر، وقال له : لقد حججنا وما نسيناك.

انظروا إلى هذا الحد يلعبون على عقول المسلمين.. هذا إبطال للدين.. هذا إبطال الشريعة..

وكيف لا يحصل هذا، وقد كان عندنا في مصر شيخ من مشايخ الأزهر.. هو عبد الحليم محمود عندما أراد أن يؤلف كتاباً في مدح أحمد البدوي المقبور في طنطا بأرض مصر ذهب وبقي ليالي عند قبره.. وبعد ذلك ذكر في الكتاب أنه ما كتب هذا الثناء والمدح لأحمد البدوي إلا بعد أن أذن له أحمد البدوي.

لهذا أيها الناس، ولا أقول المسلمين.. احذروا على عقائدكم من هؤلاء المشركين.. إنهم موجودون معنا في كل مكان ابتداء من مسجدنا هذا.

فويل لمن اتبعهم.. وطوبى لمن تبرأ منهم.. والفردوس الأعلى وما فيها من الحور والقصور لمن خلص الأمة من شرورهم.. والحمد لله رب العالمين.

بمجرد أن قال هذا، قام القاتل، وغرز سكينه في قلب شيخ الطريقة.. وانهال الناس عليه.. وسلموه للشرطة.. وحصل بعد ذلك ما حصل.

بعد أن رأيت ما رأيت.. ذهبت إلى محامي المتهم، وقدمت له الشريط، فنظر إلي،

وقال: أنصحك بأن تحرقه.. أو ترميه.. فما أسرع ما يجد المحامون الكبار الذين يلتفون حول ذلك الإمام من المخارج ما يضعك في الزنزانة طول حياتك..

قلت: ولكن الدليل معي.

قال: ولكن الإعلام وجمعيات الحقوق الإنسان والأمم المتحدة معه.. إن حلف المستكبرين لا يمكن أن يقضي عليه محام مستضعف مثلي.

حجارة في أزقة الطائف

من لطف الله بعباده أن يعيد لهم التاريخ والابتلاءات المرتبطة به كل حين بثياب جديدة، وبامتحانات جديدة.. ليمحص كل إنسان التمحيص الذي يبرز سريرته، ويكشف نيته، ويدل على حقيقته التي يخفيها بتكبره وغروره ودعاواه.

كنت أراقب الأحداث، فأرى كل يوم مرحلة من مراحل التاريخ تمر أمامي.. فمرة أرى الحرة، حيث استبيحت المدينة.. ومرة أرى كربلاء حيث حصلت أكبر مأساة في التاريخ.. ومرة أرى المصاحف وهي ترفع لتقوم على أساسها دول اللصوص والانتهازيين والمجرمين..

كنت أرى كل ذلك، وأعتبر به.. لكني لم أكن أتصور أنه سيأتي اليوم الذي أرى فيه بعيني ما حصل لرسول الله ﷺ يوم ذهب إلى الطائف.

خطر على بالي هذا عندما ذهبت إليها بعد أداء العمرة، لأرى البلدة التي تشرفت بسير رسول الله ﷺ بين جنباتها وأزقتها.. وتشرفت بعد ذلك بأن تشربت تربتها ببعض دماء رسول الله ﷺ..

كان أول ما فعلته عندما دخلت إليها هو زيارتي للمسجد الذي أقيم في نفس المكان الذي سار فيه رسول الله ﷺ.. كان الإمام فصيحا بليغا، يملك الكثير من أدوات البيان التي تخول له أن يصور الحقائق، وكأن المستمع يراها رأي عين.. كان يتحدث عن سيرة رسول الله ﷺ.. وكان يتحدث عن قدومه ﷺ للطائف.. وكيف قابله أهل الطائف بذلك العنف وتلك الشدة.. وكيف أغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويرمون عراقيبه بالحجارة، حتى دميت عقباه، وتلطخت نعلاه، وسال دمه الطاهر على أرض الطائف.. وما زالوا به حتى ألجأوه إلى بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة، فعمد إلى ظل شجرة من عنب، فجلس فيه هو وصاحبه زيد، ريثما يستريحا من عنائهما، وما أصابهما.

وفي ذلك الحين بث شكواه لربه بقوله: (اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي ولكن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرفت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، من أن تُنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله)(١)

ثم ذكر كيف لاقاه ﷺ بعدها بقرن الثعالب جبريل – عليه السلام– فناداه قائلا: (إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم)، وكيف ناداه ، فسلم عليه ثم قال: يا محمد، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: (بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشركُ به شيئًا)(٢)

كانت كلماته تتحول أمامي إلى مشاهد حية أعيشها، وكأنني كنت مع رسول الله ﷺ في ذلك الحين، أرى تلك المعاناة العظيمة التي كان يتكبدها، وهو يبلغ دعوة ربه.

من غير شعور مني، رحت أخاطب رسول الله ﷺ، وأقول: (يا رسول الله.. يا خير خلق الله.. يا أكرم الخلق على الله)

فجأة رأيت الناس يلتفون حولي يضربونني بأقدامهم ونعالهم، ويخرجونني من المسجد، ثم يقولون للإمام: لقد ضبطنا هذا المشرك، وهو يدعو رسول الله ﷺ في المسجد، لا يبالي بحرمته، ولا حرمة هذه البلدة المعظمة التي تشرفت برسول الله ﷺ.. وكأنه يريد أن يعيدها إلى ما كانت عليه قبل شيخنا محمد بن عبد الوهاب.

---

(١) رواه ابن إسحق في السيرة.

(٢) رواه البخاري.

نظر الإمام إلي، وقال: هل حقا ما يقولون؟

رحت بكل قوتي، والجراح تنزف من جسمي أقول له: لا.. إنهم يكذبون علي.. لم أكن أشرك..كنت فقط أخاطب رسول الله ﷺ لأبثه..

قاطعني الإمام بقوة: وهذا هو الشرك بعينه.. أين أنت من رسول الله ﷺ.. رسول الله ﷺ مات.. ولم يبق له وجود على هذه الأرض إلا جثته التي لا تسمن ولا تغني من جوع.. فكيف تتجرأ على دعائه.. ألا تعرف أنه لا يملك لنفسه حولا ولا قوة.. ولا ضرا ولا نفعا.. ولا موتا ولا حياة ولا نشورا.. حتى شفاعته في الآخرة لا تنفع إلا بإذن الله.. ووجودها كعدمها لولا إذن الله.

قلت: لعلك لم تفهمني – سيدي – فأنا مؤمن بكل ما ذكرت.. فالله هو النافع الضار المحيي المميت، وهو الذي يقبل الشفاعة أو يرفضها.. ولكني فقط تذكرت رسول الله ﷺ بعد خطبتك.. فرحت أناجيه..

قاطعني بقوة، وهو يقول: وذاك هو الشرك.. المناجاة لا تكون إلا لحي.. ورسول الله ﷺ ميت.. والله تعالى يقول: إنك لا ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠].. إن ما قمت به شرك يا رجل..

قلت: وكيف يكون شركا، وقد صليت معكم.. وقرأت سورة الفاتحة.. وقرأت فيها قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]

قاطعني بقوله: وهل كل من فعل ذلك مسلم.. ما أكثر المشركين الذين يحفظون هذه السورة، بل يحفظون القرآن جميعا.. بل إن شرك هؤلاء أكبر بكثير من شرك أبي لهب وأبي جهل وأبي العاص..

أردت أن أتكلم لأدافع عن نفسي، فانبرى جلف غليظ، ركلني على فمي، فسال الدم منه، وراح يقول للإمام: إلى متى نصبر على هؤلاء.. لو تركنا لهم المجال، فسيعيدون الطائف

إلى ما قبل الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. وستعبد الأصنام من جديد.. وستصبح هذه البلاد بلاد شرك، لا بلاد توحيد.

قال الإمام: صدقت.. لابد من الحزم.. أنتم تعلمون كيف تعامل سلفنا الصالح من أتباع شيخنا الكبير المجدد ابن عبد الوهاب مع أهل الطائف..

قال ذلك الجلف الغليظ: أجل.. لقد ذكر في (عنوان المجد) تلك الانتصارات العظيمة التي حققتها الفرقة المنصورة الناجية في وجه المشركين.. لقد فرت القبائل المشركة من مساكنها.. وكان أطفال ونساء المشركين يهيمون علي أنفسهم في البرية.. وكان الكثير منهم يلقي حتفه.. وقد ذكر أن بعض نساء المشركين كن من الرعب والهول الذي سلطه الله عليهم يسقطن حملهن أثناء الغزو والمباغتة.

ركلني ثان، وقال: صدقت.. لابد من الحزم مع هؤلاء المشركين.. فقد روى لنا أجدادنا من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب كيف كانوا يسبين ذراري المشركين لأنهم لا يختلفون عن عبدة الأصنام.

ركلني ثالث، وقال: صدقت.. لقد صرح الصنعاني في (تطهير الاعتقاد) في عدة مواضع ما يدل علي ذلك حيث قال: (ومن فعل ذلك (أي الاستغاثة وما يجري مجراها) لمخلوق فهذا شرك في العبادة، وصار من تفعل له هذه الأمور إلها لعابديه وصار الفاعل عابدا لذلك المخلوق، وإن أقر بالله وعبده، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دماءهم وسبي ذراريهم ونهب أموالهم)

ركلني رابع، وقال: صدقتم.. فقد قرأت في ذلك الكتاب: (فمن رجع وأقر، حقن عليه دمه وماله وذراريه ومن أصر فقد أباح الله منه ما أباح لرسول الله ﷺ من المشركين)

ركلني خامس، وقال: صدقتم.. لقد حكي الجبرتي في تاريخه في حوادث (سنة ١٢١٧ هـ). أن أجدادنا من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب لما دخلوا الطائف قتلوا الرجال

وأسروا النساء والأطفال. قال: وهذا دأبهم مع من يحاربهم.

ركلني سادس، وقال: صدقتم.. وهذا هو سر تلك الغنائم الكثيرة التي نالها أجدادنا بسبب دفاعهم عن التوحيد وحربهم للشرك.. لقد أخبرنا أن بعض أمرائنا كان له من المماليك الذكور أكثر من خمسمائة مملوك.. ومن النساء أكثر من سبعمائة جارية..

ركلني سابع، وقال: فما تقول يا شيخنا بعد هذا؟.. ما العقوبة التي تراه يستحقها؟

نظر الإمام إلي، وكأن كل تلك الركلات والصفعات والدماء التي تسيل مني لم تكف، فقال: أرى أن نغري به صبياننا حتى يشبوا على كراهية الشرك والمشركين.. لابد أن يصبح الحقد على المشركين هو القيمة العليا في المجتمع.. أرسلوه في أزقة الطائف.. واجمعوا للأطفال ما قدرتم عليه من الحصا.. وأخبروهم أن هذا الدجال مشرك.. وسترون ما يفعلون به.

بعد أن قال الإمام هذا سحبوني بقوة.. ثم تركوني في زقاق من أزقة الطائف.. وجاء الصبيان يهرعون إلي بحجارتهم.. وأنا أفر منهم بكل ما بقي لدي من قوة إلى أن وجدت بستانا.. وهناك اختبأت تحت بعض أشجاره، ورحت أردد ما ردده رسول الله ﷺ يوم الطائف.

موالد.. وموالد

هناك ظاهرتان واضحتان أراهما في زعماء التشدد في التاريخ الإسلامي تحتاجان إلى محللين نفسيين لإبراز منبعهما النفسي:

أما الأولى، فهي ذلك الاستعلاء والتكبر على المستضعفين من المسلمين أو غير المسلمين إلى درجة رفض الحوار والتعايش، بل الدعوة إلى إلغائهم واستئصالهم.

وأما الثانية، فهي ذلك الخنوع، وتلك الذلة أمام المستكبرين، سواء كانوا حكاما أو رجال أعمال أو أي شخص يستلم أي مسؤلية، أو تناط به أي مهمة.

والأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى، وربما تحدثنا عن بعض هذا سابقا.. وربما سنتحدث عنه لاحقا.

وكمثال على ذلك نذكره اليوم قصة حصلت معي، وربما حصلت معكم، ومن لم تحصل معه، يمكنه أن يذهب إلى التراث الكبير لهؤلاء ليراها بعينه.. وإن لم يكن من هواة المطالعة، فيمكنه أن يشاهدها على القنوات التلفزيونية الدينية الكثيرة التي صارت حكرا على هؤلاء المتشددين.

كنت ذات يوم أسير مع قافلة كانت تصحب بعض المشايخ الذين وفدوا إلى قريتي.. واهتزت القرية لحضورهم.. لا لشيء، سوى أن هذا الشيخ قدم من دولة تحتضن الحرمين الشريفين.. وقد تصور الناس أنهم بالتمسح بهم أو السير معهم سينالون بركات الحرم وأنواره..

كان الشيخ ينظر إلى المحلات، فيعجبه بعضها، وينتقد بعضها، ويسخر من بعضها بتعال وكبرياء أثارت حفيظة بعض الناس، فغادر القافلة متأففا متضجرا.. لكني – ولبلادة طبعي – بقيت.. لعلي أرى مشاهد أخرى.. فقد تعودت على أمثال تلك المشاهد، ولم تعد تؤثر في.

فجأة مررنا على مسجد يحتضن رفاة ولي من أولياء الله – كما يعتقد أهل القرية – وكان الناس متجمعين داخله، وخارجه ينشدون القصائد بفرح وسرور..

سأل الشيخ عن سر هذا التجمع، وسر تلك الأناشيد، فانبرى إمام القرية، وقال له: هذه تجمعات لبعض الصوفية الذين يفدون من كل البلاد، وفي مناسبات مختلفة إلى هذه القرية، لإحياء ذكرى شيخهم، وهم يتذاكرون فيها، وينشدون القصائد، ويكتسبون أفرادا جددا.. بالإضافة إلى ما يقام في تلك المناسبات من ولائم، وهي كلها مما ترغب فيه النفس، ويميل إليه الطبع، وهي بذلك تعطي شحنات إضافية للسالك الصوفي يتزود منها مدة طويلة.

وقال آخر: ويصحب ذلك بعض الرخاء الاقتصادي الذي تعيشه القرية.. فهي كما تراها منعزلة.. ليس فيها موارد رزق تكفي سكانها.. ولذلك تساهم هذه الموالد في تنشيط الحركة الاقتصادية.. وربط القرية بمحيطها الاجتماعي.

قال آخر: بالإضافة إلى هذا، فإن لهذه الموالد كثيرا من الآثار الاجتماعية، فهي تربط المجتمع بعضه ببعض، بل تربط المجتمع بتاريخه وثقافته والرجال الذين يميل إلى تقديسهم.. وهي تساهم في تشكيل الهوية، والحفاظ عليها.

أراد آخر أن يتحدث.. فانتهره الشيخ بقوة، وراح يخطب بحماسة، وكأنه ليس ضيفا، ولا في بلدة أخرى لها أعرافها وتقاليدها..

وقف في ذلك المحل يقول: أنتم فقط تهتمون بالجانب الاقتصادي والاجتماعي متغافلين عما يحدث فيها.

قال رجل منا: وما يحدث فيها؟

قال الشيخ: ألم تروا إلى ما يركب فيها من فواحش ومحرمات؛ وما يهتك فيها من أعراض وحرمات؟

قال الإمام: مهلا يا شيخ.. نحن لم نر شيئا من ذلك.. فنحن الذين نقوم بتنظيم هذه الموالد.. وليس فيها ما ذكرت.. وإن حصل وأساء بعض الناس الأدب.. فذلك شأنه.. ولا يمكن أن نلغي عملا خيريا من أجل إساءة من بعض الناس.

غضب الشيخ غضبا شديدا، وراح يقول: (ما من صاحب دعوة إلا ويحرص على تأييد دعوته بما يقدر عليه من جمل وألفاظ ودلائل، حتى يضمن قبولها ورواجها.. ولا نجد في أصحاب الدعوات من يحرص على صدق جمله وصحة دلائله، إلا إن كان يدعو إلى اتباع السنة وتقليد السلف، فهو الوحيد الذي يحرص على الصدق والصحة في كل ما يتلفظ به، يحرص أن يكون كما هو ظاهرا وباطنا.. بخلاف أهل الأهواء والبدع وأهل الفساد والتخريب، فإنهم يرفعون شعار الإسلام وهم يهدمونه.. ويرفعون شعار السنة وهم يخالفونها.. ويدعون اتباع السلف وليس كذلك.. وفي سبيل تدعيم مذاهبهم الباطلة الزائغة يوردون الكلام الكثير والأدلة المتنوعة، التي لا تصحح مذهبهم ولا تعطيه الشرعية)[١]

قال الإمام: مهلا يا شيخ.. فنحن نحترمك لعلمك.. وللبلدة التي جئت منها.. ولكن لا يحق لك أن تتهمنا من غير بينة.. فإن كنت قد رأيت منكرا، فأخبرنا حتى نغيره..

قال الشيخ: نفس الموالد بدعة.. حتى مولد النبي ﷺ بدعة.. وليس هناك مولد في الأرض إلا وهو بدعة.. السنة فقط في اتباع السلف الذين ما عرفوا هذه الضلالات، ولا شموا روائح هذه المنكرات، ولا حدثت بينهم هذه الحادثات..

ثم راح يصرخ في الجموع الذين حضروا المولد بقوة وتعال وكبرياء: (يا قومنا، أجيبوا داعي الله، ولا تجيبوا داعي الشيطان.. يا قومنا إن أصول هذه المنكرات مفسدة للعقيدة، وإن فروعها مفسدة للعقل والمال، وإنكم مسؤولون عند الله عن جميع ذلك.. يا قومنا إنكم تنفقون هذه الأموال في حرام وإن الذبائح التي تذبحونها حرام لا يحل أكلها،

---

(١) رد شبه المولد النبوي وتسويغهم له (ص: ٢).

لأنها مما أهل به لغير الله؛ فمن أفتاكم بغير هذا فهو مفتي الشيطان، لا مفتي القرآن)[1]

بمجرد أن انتهى من خطبته الحماسية رن هاتفه، فنظر في اسم المتصل، فأصابته رجفة، وكأن زلزالا نزل به.. قربه من أذنه، وراح يقول: حاضر سيدي.. أنا في خدمتك.. وبخصوص مولد مولانا الملك.. فقد أعددت لذلك قصيدة رائعة، لا شك أنها ستعجبه.. وقد كلفت نائبي بأن يحضر لذلك حفلا دعوت له الأعيان وأهل العلم من كل ربوع المملكة.. لا تقلق بهذا الشأن، فقد أمرت بجلب أحسن أنواع اللحوم من كل الأصناف، وأمرت الطباخين بتجهيز أحسن الولائم.. وبصفتي المسؤول الرسمي عن الاحتفالات الملكية، فقد حضرت كل ما يرتبط باليوم الوطني للمملكة.. وبيوم النخلة.. وبيوم بناء مولانا الملك لقصره الجديد، وبمناسبة زواج ابنه.. كل ذلك محضر عندي.. لكن فقط لا تنسوا أن ترسلوا لنا بما طلبناه منكم من أموال.. فالميزانية التي خصصتموها لهذه السنة تكاد تنفذ.. وأنت تعلم أنه لا يمكن إجراء مثل هذه الموالد من دون أموال.

قال ذلك، ثم ابتسم ابتسامة عريضة للملتفين حوله، وقال: هذا اتصال جاءني من رئيس الديوان الملكي، ولا يمكنني أن أؤجل الحديث معه.

ثم قال: فيم كنا نتحدث؟

قالوا: عن الموالد؟

قال: مولد من؟

قالوا: مولد هذا الولي الذي قدم الناس لأجله.

قال: آه.. تذكرت.. اعذروني.. لقد بدأ الزهايمر يزورني مبكرا.. نعم.. هذه بدعة.. هذه ضلالة.. هذا كفر.. هذه زندقة.. هذه هرطقة..

وظل يردد ذلك إلى أن قلنا: ليته سكت.

---

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/ ٣٢٢)

ذكور.. وإناث

المشكلة الكبرى التي يعاني منها المتشددون هو عدم قراءتهم للقرآن، أو عدم تدبرهم له، وإلا فلو أنهم قرؤوه، وتدبروه، وحاولوا أن يعيشوا القيم السامية التي يحملها، لخففوا الكثير من غلوائهم وتشددهم، ولتواضعوا لله، ولخلق الله.

وسأضرب مثالا على ذلك هنا ورد في القرآن في مواضع متعددة، وبأساليب مختلفة، لتتكرر قراءته، وتتقرر معانيه، وتترسخ.. وهو قوله تعالى في قصة آدم عليه السلام، ورفض إبليس السجود، وقوله حينذاك مخاطبا ربه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]

لقد تكرر هذا المشهد أمامي مرات كثيرة جدا.. كان إبليس البشري، بل المتدين، يعود فيها كل مرة، ليرفض السجود، ويتعلل بنفس المبدأ، مبدأ الخيرية التي صنعها بهواه.. لا الخيرية التي يزكي بها الله من شاء من عباده.

وقع المشهد على كوكب الأرض، وفي شركة صناعية فيها، وقد دعيت إلى الحضور باعتباري شاهدا، وقد كان ذلك فرصة لي لتسجيل هذا الحوار الجديد.

في البداية صعدت امرأة إلى المنصة، وراحت تذكر مشاريعها التي تريد أن تقوم بها في صالح الشركة في حال انتخابها.. وكانت مشاريع كثيرة جدا.. وقد سئلت عن مدى واقعيتها، فذكرت التفاصيل الدقيقة الكثيرة التي برهنت على أنها مقتدرة، وأن فيها من الكفاءة والنزاهة والإخلاص ما يتيح لها الحق في الترشح.. وقد تعجبت من قوة ذاكرتها، وحفظها للأرقام الكثيرة، وتعجبت أكثر من حضور بديهتها، فهي تجيب عن كل ما تسأل عنه بسرعة، وكأنها كانت تعلم الأسئلة مسبقا.. وتعلم الإجابة عنها.

لا أخفي عليكم أني أعجبت بها كثيرا.. فقد كان لها من القدرات ما يسمح لها بتولي ذلك المنصب الخطير.. لكني مع ذلك لم أستعجل في الحكم لها، فقد يكون للمترشح الثاني

من القدرات ومن المشاريع ما يفوق ما عندها..

بعد أن انتهى الوقت المحدد لها نزلت ليصعد رجل صاحب لحية كثيفة وقميص قصير، فأصابني بعض الرعب الذي يصيبني من أمثال هؤلاء نتيجة تجاربي المريرة معهم.. وقد استغفرت ربي عندما أصابني هذا.. وأنبت نفسي كثيرا لأني أسأت الظن من غير تحقيق ولا علم..

ولكني بعد ذلك عدت فاستغفرت من استغفاري.. وأنبت نفسي لتأنيبها لي.

سأحكي لكم مشروعه العظيم الذي راح يتقدم به ليدير تلك الشركة المهمة التي قد تنهض بالاقتصاد، وقد تهوي به.

صعد المنصة، وأخذ جزءا مهما من وقته المتاح له في تلك الخطبة الطويلة التي تعود أصحابه أن يقدموها، وكأنها فرض لازم.

ثم نظر إلى الجموع، وقال[1]: ألا وإن من أعظم ما يندى له الجبين، وتثلم به عرى الدين لهي هذه الدعوات من أوباش الخنا وأثمة الخائنين، تلك الدعوة البائرة التي لا تصدر إلا عن أحد اثنين: إما مائع مخنث، وإما دجال خبيث يتظاهر بالدعوة إلى إلغاء فوارق التأنيث، ليتقاضى من وراء ذلك مبالغ من الأموال عمالة من اليهود أو النصارى على إبعاد المرأة المسلمة عن كتاب ربها وسنة نبيها ﷺ بارتكاب أنواع الفواحش من تبرج واختلاط وخلع جلباب الحياء وغير ذلك من فنون الفساد وحيلها، فيا هول مصيبة المسلمين بهذا، وهل كانت أول فتنة بني إسرائيل وهلاكهم إلا من ذلك.

قاطعه رئيس الجلسة قائلا: أظن أن أخانا نسي الغرض الذي صعد من أجله.. نحن الآن نقيم مناظرة بينك وبين فلانة لننظر أيكما أصلح لإدارة هذه الشركة.. وقد تقدمت

---

(١) هذا النص مقتبس من كتاب: (كشف الوعثاء بزجر الخبثاء الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق الأنثى) ليحي الحجوري.

فلانة، ووضحت مشاريعها.. والآن دورك.. ما هو المشروع الذي تحمله؟

نظر المترشح إلى رئيس الجلسة بغضب، وقال: لا أظن إلا أنك من هؤلاء الذين ذكرتهم.. كيف تجرؤ على مقاطعتي في نفس الوقت الذي جبنت فيه على مقاطعتها.

قال رئيس الجلسة: أنا أدير الجلسة، ولو أنها خرجت عن الموضوع لقاطعتها.. هي وبشهادة الجميع لم تتحدث إلا في صلب الموضوع.

قال الرجل: وأنا أيضا كنت أتحدث في صلب الموضوع.

قال رئيس الجلسة: لم أفهم.. ما علاقة كلماتك تلك بمشروع شركتنا.

قال الرجل: لو أنك عرفت الدين، وقرأت ما قال علماء المسلمين لفهمت عني ما ذكرت.. لكنك لا تقرأ.. ولهذا لم تفهم ما عنيت.

التفت رئيس الجلسة إليه، وقال: لا بأس.. أنا جاهل وأمي، بل ومغفل أيضا.. ولهذا سأسأل الجمهور عن علاقة كلامك بموضوع جلستنا..

ثم التفت إلى الجمهور، وقال: ألكلامه علاقة بموضوع جلستنا؟

صاح رجل من الجمهور: أجل.. بل كلماته في الصميم.. ولو أنك ألقيت سمعك، لاكتفيت بها.

قال رئيس الجلسة: فما في كلماته من الاحتجاج لترشيح نفسه.

قال الرجل: مجرد كونه ذكرا دليل قوي على كونه هو الحقيق بهذا المنصب ما دام لم يزاحمه فيه رجل آخر.

قال رئيس الجلسة: ولكن هناك امرأة تزاحمه، وقد سمعتم حججها.

قال الرجل: كل حججها ملغية وغير معتبرة.. فهي أنثى.. وهو ذكر.. وكونه ذكرا كاف لترجيح كفته.

قال رئيس الجلسة: أنا لا أعلم أن هناك فوارق بين الجنسين..

حدثت ضجة كبيرة في القاعة بعد قوله هذا، إلى أن أوقفهم شيخ كان من جملة الحضور الذين دعوا.. تصورت في البداية أنه يريد أن يعيد الجميع إلى العقل والحكمة.. لكني فوجئت كما كنت أفاجأ كل مرة.

قال الشيخ: إن كانت هذه الشركة تريد أن تقوم على أصول شرعية، فعليها أن تطبق الشريعة على الجميع ابتداء من مديرها، وانتهاء بأبسط عامل فيها..

أما الذين يذكرون تساوي الجنسين فهي بدعة حادثة، بل هو كفر مخرج من الملة.

ثم أخرج كتابا من محفظته، ولوح به للجمهور، وقال: أنظروا هذا الكتاب (كشف الوعثاء بزجر الخبثاء الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق الأنثى)، ويسمى أيضا (النصح الحثيث لبعض المخانيث الداعين إلى مساواة النساء بالرجال وإلغاء فوارق التأنيث).. إنه للمحدث الكبير العلامة (أبي عبدالرحمن يحيى بن علي الحجوري).. انظروا ما قال في مقدمة كتابه..

راح يقرأ: (هذا وليعلم أن الدعوة إلى إلغاء الفوارق بين الذكر والأنثى كفر أكبر مخرج من الملة، لأنه ردٌّ وتكذيبٌ لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ)

هل سمعتم ما يقول هذا العلامة..

فيا أيها المسلمون والمسلمات أذكركم بالله عز وجل، وأذكركم بقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧]

ويا دعاة الرذيلة أذكركم الله عز وجل وأذكركم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩]

قال رئيس الجلسة: اسمح لي يا شيخ.. فنحن في جلسة رسمية.. وسينتج عنها انتخابات لمدير هذه الشركة.. فلذلك نرجو أن تؤجل مواعظك إلى الوقت الذي تنتهي فيه الجلسة.

غضب الشيخ غضبا شديد، وقال: أتريد مني أن أسكت على المنكر.. أتريد مني أن أترك الشيطان في هذا المجلس؟

قال رئيس الجلسة: إن لم تسكت، وتدعنا نكمل عملنا، فسأضطر لإخراجك من هنا.

بمجرد أن قال هذا، قامت فوضى كبيرة في المجلس، ثم قام بعضهم وأسرع إلى رئيس الجلسة ومعه رفقة من أصحاب الفتوة، وهو يقول: أنت الذي ستخرج من هذا المجلس..

ثم انهالوا عليه يضربونه، ويخرجونه.. وبعدها طلبوا من الشيخ أن يصعد إلى مجلس الرئيس، ويواصل خطابه..

صعد الشيخ، وراح يقول[1]: لقد اتفق سلفنا الصالح على أن المرأة ناقصة عقل ودين.. وأنها سفيهة.. وأنها ناقصة الظاهر والباطن.. في الصورة والمعنى.. ولهذا تكمل نقص ظاهرها بلبس الحلي وما في معناه ليجبر ما فيها من نقص كما قال بعض الشعراء:

وما الحلي إلا زينة من نقيصة ... يكمِّل من حسن إذا الحسن قصِّرا

وأما نقص معناها فإنَّها ضعيفة عاجزة عند الانتصار، فلا عبارة لها ولا همة، كما قال بعض العرب وقد بُشِّر ببنت: (والله ما هي بنعم الولد، نصرها بكاء وبرها سرقة)

ونتيجة لنقصها الشديد، وخيرية الرجل عليها حرم عليها أن تتولى أي ولاية، أو تتسلط أي سلطة حتى سلطتها على بيتها، لقد قال البغوي في (شرح السنة): (اتفقوا على أن المرأة لا تصلح أن تكون إماماً، ولا قاضياً، لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد، والقيام بأمر المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البروز لفصل الخصومات، والمرأة عورة لا تصلح

(١) النصوص الواردة هنا من الكتاب المذكور مع بعض التصرف البسيط.

للبروز، وتعجز لضعفها عند القيام بأكثر الأمور، ولأن المرأة ناقصة)[1]

وفوق ذلك فإن المرأة لا تستطيع أن تخرج من بيتها إلا مع محرم وللضرورة الشديدة، وقد قال العلامة الألباني، وهو يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر: (وما شاع هنا في دمشق في الآونة الأخيرة من إتيان النساء للمساجد في أوقات معينة ليسمعن درسًا من إحداهن ممن يتسمون بالداعيات -زعمن- فذلك من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد السلف الصالحين، إنما المعهود أن يتولى تعليمهن العلماء الصالحون في مكان خاص كما في هذا الحديث أن رسول الله ﷺ وعظ النساء، أو في درس الرجال حجزة عنهم في المسجد، فإن وجد في النساء اليوم من أوتيت شيئًا من العلم والفقه السليم المستقى من الكتاب والسنة فلا بأس من أن تعقد لهن مجلسًا خاصًا في بيتها أو في بيت أحداهن، ذلك خير لهن)[2]

بقي يتحدث بهذا وأمثاله إلى أن انتهى الوقت.. وبدأت الانتخابات.. وقد كانت المفاجأة أن الرجل هو الذي فاز فيها.. وعندما خرجت سألني بعض الصحفيين عن سبب انتصار الرجل عليها، فقلت من حيث لا أشعر: هو خير منها.. هو خلق ذكرا.. وهي خلقت أنثى.

بعد شهر واحد من تلك الحادثة أعلنت الشركة إفلاسها، وطرد العمال.. أما الرئيس فقد فر بصحبة الشيخ إلى سويسرا، ومعه حقيبة من المال.

---

(١) شرح السنة، (١٠/ ٧٧).

(٢) السلسلة الصحيحة: (٦/ ٤٠١) تحت حديث رقم (٢٦٨٠)..

عرب.. وعجم

سأحكي لكم اليوم قصة قد تفسر تنزيلنا الواقعي والتاريخي والتراثي للآية الكريمة التي يقرر فيها الله سبحانه وتعالى عظمة العدالة الإلهية التي لا تفرق بين بشر وبشر، أو شعب وشعب، أو قبيلة وقبيلة.. وهي قوله تعالى:﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)

هذه الآية الكريمة تدعونا إلى التواضع مع خلق الله جميعا، واعتبار أنفسنا أفرادا في مجتمع الإنسانية الكبير الذي لا يحق لأحد أن يضع موازين المفاضلة فيه غير خالقه ورازقه ومدبر أموره والعارف بسريريته وعلانيته.

كان يمكن لهذه الآية الكريمة – لو اتخذت قانونا يضبط العلاقات الإنسانية – أن تجعل البشر جميعا إخوة متحابين لا صراع بينهم، ولا قتال.. لكن الفهم المدنس، وبعض الأيدي الملوثة حرفت الآية الكريمة تحريفا شديدا.. وأعادت إزار الكبرياء بالقوميات والعرقيات ليدخل من جديد.. والخطورة الكبرى أن يدخل باسم الدين نفسه.

قد تستغربون هذا.. ولكن الحكاية التي سأحكيها تزيل هذا الاستغراب:

سمعت ذات يوم أن هناك عالما كبيرا سيزور مدينتنا ليلقي بعض المحاضرات المهمة التي تبصرنا بواقعنا والمؤامرات والتحديات التي يواجهها..

وقد حسبت في البداية أنه محلل سياسي كبير.. أو خبير في المستقبليات.. أو متخصص في التخصصات العلمية التي ترتبط بهذا المجال الخطير.. ولهذا كنت مهتما لا بحضوري الشخصي فقط، بل بدعوة كل من أعرفهم ليحضروا.. فلا يمكن أن نتجاوز المخاطر التي تتربص بنا بغير الوعي وفقه الواقع بكل تفاصيله.

لكني ندمت بعد ذلك لا على حضوري فقط.. بل على أولئك المغفلين الذين كنت

سببا فيما حصل لهم من انتكاسة فكرية خطيرة صعب علي أن أعالجهم منها بعد ذلك.

طبعا كعادتنا في أمثال هذه المجالس يقوم المنظمون بثناء كبير على المحاضر وخبرته وشهاداته ونحو ذلك ليكون محل ثقة لدى المستمعين.. لكن المنظمين في هذه الجلسة لم يفعلوا شيئا من ذلك.. سأصور لكم الأحداث كما وقعت بتفاصيلهم.. وعلقوا بما تروه مناسبا:

تقدم مقدم المحاضرة من المنصة، وراح – بعد الترحيب بالحضور– يقول: محاضرنا اليوم علم كبير من أعلام الدعوة الإسلامية السنية السلفية الأثرية.. وقيمته ليس في العلوم التي يحفظها عن ظهر قلب فقط.. وإنما في كونه ولد وتربى في أسرة نجدية ذات نسب عريق يعود إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأحفاده من العلماء.. ولا أنسى قبل أن يتقدم لإلقاء محاضرته أن ألقي عليكم جزءا من أرجوزة طويلة كتبها محمد البشير الإبراهيمي مثنيا على آبائه وأجداده من علماء نجد الذي أحيوا الدين بعد أن اندراسه، وأحيوا التوحيد بعد أن عم الدنيا ظلام الشرك.. يقول الإبراهيمي في قصيدته[1]:

إنا إذا ما ليل نجد عسعسا	وغربت هذي ائجواري خنسا
والصبح عن ضيائه تنفسا	قمنا نؤدي الواجب ائمقدسا
ونقطع اليوم نناجي الطرسا	وننتحي بعد العشاء مجلسا
موطدا على التقى مؤسسا	في شيخة حديثهم يجلو الأسى
وعلمهم غيث يغادي الجلسا	كأننا شرب يحث الأكؤسا

إلى آخر الأرجوزة الطويلة التي اعتبر فيها الإبراهيمي نجدا وعلماء نجد قطب الأمة ومحورها، بل وقبلتها التي إن لم تتوجه لها وقعت في البدعة والشرك والضلالة.

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/ ١٢٦).

بعد أن نفخ المقدم المحاضر بكل صنوف المديح والثناء.. وبعد أن جحظت العيون وهي تنتظر طلوع الطلعة البهية التي تبصرها بالمؤامرات التي تحاك لها.. تقدم المحاضر بهندامه النجدي المعروف.. وبعد مقدمة طويلة أخذ يقول: لاشك أنكم تنتظرون مني أن أحدثكم عن المؤامرات التي تحيكها أمريكا لنا.. أو تحيكها إسرائيل.. أو تحيكها بريطانيا.. لا.. لن أذكر لكم ذلك.. لسبب بسيط وهو أن ألئك مهما كان فهم أعداء ظاهرون.. ويمكننا لو طبقنا التعاليم الشرعية معهم أن نحولهم إلى أصدقاء.. إن هؤلاء جميعا مهما بلغ خطرهم، فإنهم لن يحتلوا سوى أرضنا، ولن يستلبوا سوى خيراتنا.. وكل ذلك متاع الحياة الدنيا.. والآخرة خير وأبقى..

إن الخطر الكبير أيها المؤمنون هو فيمن يسمون باسم الإسلام.. وهم في الحقيقة منافقون كافرون ضالون مشركون ما دخلوا الدين إلا ليخربوه.. لاشك أنكم عرفتم من أقصد..

إن الخطر الأكبر هو المشروع الفارسي الذي يريد إحياء امبراطورية كسرى.. أنتم تعلمون أن الفرس منذ زالت دولتهم، وهم يحقدون على المسلمين، ويحقدون على الصحابة، ويحقدون على العرب لأنهم أبناء الصحابة.. وكل ما ترونه في وقع التاريخي ناتج من مؤامراتهم..

لقد طفت حول العالم أجمع.. كما طاف إخواني من النجديين للتحذير من هذا المشروع الخطير الذي يريد أن يستأصل الإسلام والسنة والسلف.. والحمد لله فنحن علماء نجد كنا ندرك خطورة هذا المشروع من البداية بخلاف المغفلين من سائر البلاد الإسلامية والذين عمي على قلوبهم، فلم يدركوه إلا بعد أن استفحل خطره..

أما نحن.. ودولتنا الكريمة.. فقد قمنا بكل الجهود لمحاربته.. ابتداء من تلك الحرب التي امتدت ثماني سنوات.. وبعدها كل المقاطعات الاقتصادية.. ولا نزال نتحالف مع

الجميع من أجل أن نقف في وجه هذا المشروع الخبيث..

بقي المحاضر يتحدث بهذا ومثله ساعة كاملة إلى أن اعتقد الحضور أن الفرس ليسوا بشرا، وإنما هم عفاريت من الجن.. أو أنهم من كوكب آخر.. وأن قلوبهم ليست سوى مراجل تغلي حقدا على العرب والعروبة.

بعد أن انتهى من محاضرته، تقدم أستاذ محترم كنت أعرفه وأعرف حرصه على الوحدة الإسلامية، بل على الأخوة الإنسانية، وراح يقول بأدب، بعد شكره للمحاضر: ليتك سيدي الفاضل طرحت أفكارك من غير أن تربطها بشعب من الشعوب.. ففي كل الشعوب يوجد الصالح والمنحرف.. وفي كل الشعوب يوجد التقي والفاسق.. والله سبحانه وتعالى يحاسب البشر على أعمالهم لا على أنسابهم.

انتفض النجدي غاضبا، وقال: أرأيتم أيها الحضور.. بهذا وأمثاله يتسلل المشروع الفارسي الخطير إلى بلاد المسلمين.. بهذا المغفل وأمثاله يتسرب كسرى إلى حاراتنا وبيوتنا ليبني امبراطوريته من جديد..

بربكم كيف يمكننا أن نحذر الناس من المشروع الفارسي، ونحن نذكر لهم أن الفرس مسلمون وطيبون..

بربكم كيف يمكننا أن ننجح في عاصفة الحزم التي نواجه بها المشروع الفارسي، ونحن بهذه البلاهة أو الغفلة..

ثم قام بقوة، وقال: لا.. لا.. لا يمكن أبدا أن يحتالوا على عواطفنا بمثل هذه الكلمات..

كان الأستاذ قوي الشخصية، ولا يخاف أن يؤلب عليه المحاضر الحضور، ولذلك قام من جديد، وقال: إن سمحت لي أيها المحاضر.. فأنا أريد أن أسألك عن قوله تعالى:

﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[1].. هل ورد عن النبي ﷺ في تفسيرها شيء.

قال المحاضر: الآية واضحة.. وهي لا تحتاج إلى تفسير.. ولا إلى سبب النزول.. ففيها تهديد الله سبحانه وتعالى للعرب الذين نزل القرآن الكريم بين ظهرانيهم أنهم في حال توليهم وتخليهم عن الدور المناط بهم، أنه سيتولى ذلك قوم آخرون، وأنهم سيؤدون الأمانة بصدق وإخلاص، وأنهم لن يكون أمثال القوم الأولين الذين شوهوا الرسالة..

قال الأستاذ: كلامك صحيح.. ولكن الله سبحانه وتعالى أخبر أن من وظائف رسول الله ﷺ بيان الحقائق القرآنية ومصاديقها، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٤٤]

ارتبك المحاضر، ولم يدر ما يقول، فقام إمام كان حاضرا، وقال: لا بأس.. قد يكون المحاضر مرهقا، ولم يتذكر الحديث الذي ورد في تفسير الآية، والذي صححه الألباني وغيرهم من المحدثين، وهو أن المراد منها قوم سلمان الفارسي رضي الله عنه، فقد روى أبو هريرة قال : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(محمد: ٣٨) قالوا : ومن يستبدل بنا ؟ قال: فضرب رسول الله ﷺ على منكب سلمان – أي سلمان الفارسي ثم قال: (هذا وقومه)[2].. فقد وضح رسول الله ﷺ في الحديث أن هؤلاء البدائل هم سلمان وقومه.. أي الفرس..

غضب المحاضر غضبا شديدا، وقال: اسكت أيها الأبله.. ألا تعرف أنه ليس كل ما يحفظ يقال.. ألم تسمع قوله ﷺ : (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ماسمع)[3]

---

(١) سورة محمد: ٣٨.

(٢) رواه الترمذي، قال الألباني: صحيح.

(٣) صحيح مسلم.

قام الإمام غاضبا، وقال: بلى.. وقد سمعت معها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ١٤٦)، وقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ (آل عمران: ١٨٧)

قال المحاضر: ألا ترى أيها المغفل أن الآيتين نزلتا في أهل الكتاب من قبلنا.

قال الإمام: لن أجادلك في هذا، ولكني أقرأ عليك قوله ﷺ: (من كتم علما يَعلمه جاء يوم القيامة مُلْجَمًا بِلِجَام من نار)[١] ، قد صححه الشيخ شعيب الأرنؤوط.. وقال الحاكم قبله: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ، وليس له علة.

قام المحاضر: من هؤلاء كنت أحذركم.. إن هؤلاء هم الذين يمدون المشروع الفارسي بالقوة.. إنهم جنود كسرى البلهاء..

ثم طلب من مقدم الجلسة أن يمنع أمثال هؤلاء من الحديث، وقال له: لا تدعوا هؤلاء يوسوسون لكم، ويفتنونكم عن دينكم.. لا تأذن بالحديث إلا لمن ترى فيه سيما أهل السنة والجماعة.. وسيما السلف والأثر.. ومن عداهم لا تأذن لهم.

قام أحد هؤلاء، وقد كنت أعرفه جيدا، وقد كان يعمل تاجرا، وله علاقات مالية بنجد وتجار نجد.. وكان صاحب لحية طويلة، وقميص قصير.. فاستبشر النجدي لقيامه، وقال: ائذن له بالحديث.. فإني أرى فيه سيما الإيمان والتوحيد.

تقدم التاجر، وقال: شكرا جزيلا لك على هذه التحذيرات الخطيرة التي نبهتنا لها.. والتي لا يزال نفر من قومنا في غفلة منها.. ونحن نريد أن نستغل وجودك معنا لتبين لنا المشروع البديل للمشروع الفارسي حتى نكون جنودا في هذا المشروع.

---

(١) رواه الحاكم وابن حبان.

استبشر النجدي خير لكلامه، وقال: هذا هو العقل الذي نريد.. العقل الذي يفكر فيما يعمل.. لا العقل الذي يجادل ويخوض فيما لا ينفع..

ثم أخرج خريطة من جيبه تضم الوطن العربي، وقال: نحن نريد أن تتحالف هذه الشعوب العربية جميعا في وجه المشروع الفارسي.. نريد مشروعا عربيا..

قام بعض الحضور، وقال: ولكن الإسلام دين عالمي.. ولا علاقة له بجنس دون جنس.

قال النجدي: أجل.. ولكن الله سبحانه وتعالى أعطى الريادة للعرب.. العرب هم سادة العالم.. العرب هم خير خلق الله.. ولا يمكن لأحد مهما عمل أن يكون له فضلهم وشرفهم.

قام الإمام، وقال: ولكن.. ألم تسمع ما ورد في الحديث من قوله ﷺ في خطبة الوداع:(يا أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهَّ أَتْقَاكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣)، ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: فليبلغ الشاهد الغائب) [١].. وقوله في حديث آخر: (إذا كان يوم القيامة أمر الله مناديا ينادي ألا إني جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فأبيتم إلا أن تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم أرفع نسبي وأضع نسبكم أين المتقون) [٢].. وقوله ﷺ :(إن الله عز وجل أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء، الناس بنو آدم وآدم من تراب مؤمن تقي وفاجر شقي، لينتهين أقوام يفتخرون برجال إنما هم فحم من فحم جهنم أو

---

(١) رواه البيهقي والطبراني.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني في الأوسط والصغير والبيهقي مرفوعا وموقوفا وقال المحفوظ الموقوف، الترغيب والترهيب: ٣/ ٣٧٥.

ليكونن أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها) [١].. وقوله ﷺ:(أنسابكم هذه ليست بمسبة على أحدكم، كلكم بنو آدم ليس لأحد على أحد فضل الا بالدين أو تقوى وكفى بالرجل أن يكون بذيا فاحشا بخيلا) [٢]

غضب النجدي غضبا شديدا، وقال: إلى متى يظل هذا الغبي ينشر ما نحتاج إلى كتمانه في هذه الأيام.. ألا يعرف أنه ليس كل ما يعرف يقال.. لقد ورد عن كبار الصحابة من رواة الحديث أنهم كتموا بعض ما رووه عن رسول الله ﷺ لعلمهم أن المصلحة في ذلك الكتمان.. لقد روي في الحديث الصحيح عن أبي هريرة، قال: (حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين ؛ فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم)[٣]

ثم من هذا الرويبضة حتى يستنبط من القرآن والحديث.. أهو خير من ابن تيمية الذي سمع كل هذه الأحاديث ورواها ومع ذلك يقول بخلافها..

عجب الجميع لقوله هذا، ولم أدر إلا وأنا أصيح من حيث لا أشعر: هل حقا ابن تيمية يخالف هذه الأحاديث؟

قال النجدي: أجل.. ابن تيمية كان واعيا جدا لخطورة تسرب مثل هذه الأحاديث في أذهان الناس.. لأنها تجعلهم عرضة لأي مشروع أعجمي يريد أن يحرف ديننا ا العربي..

أخرج كتابا من محفظته، وقال: انظروا هذا الكتاب الذي سماه شيخ الإسلام (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم).. إنه من أهم كتب ابن تيمية التي توضح معنى الصراط المستقيم الذي نقرؤه كل يوم في سورة الفاتحة عند قوله تعالى:﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه أحمد.

(٣) رواه البخاري..

الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٦]

فلن يفهم الصراط المستقيم من لم يقرأ هذا الكتاب..

لقد عقد فيه شيخ الإسلام فصلا خاصا.. بل بابا خاصا بعنوان (باب تفضيل جنس العجم على العرب نفاق)

فتح الكتاب على موضع كان محددا، وراح يقرأ: (إن الذي عليه أهل السنة والجماعة اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم: عبرانيهم وسريانيهم، رومهم وفرسهم وغيرهم..)

طوى الكتاب، ثم قال: لا تظنوا أن ذلك بسبب كون رسول الله ﷺ منهم.. لا هذه معلومة خاطئة.. فالعرب أفضل الأجناس بما وهبهم الله من طاقات لم توهب لغيرهم.. لقد ذكر شيخ الإسلام هذا، فقال في نفس هذا الكتاب: (وليس فضل العرب ثم قريش ثم بني هاشم بمجرد كون النبي ﷺ منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم أنفسهم أفضل. وبذلك ثبت لرسول الله (ص) أنه أفضل نفساً ونسباً، وإلا لزم الدور)

سكت قليلا يتأمل موقع كلامه من الحضور، ثم قال: أعلم أن في هذه القاعة الكثير من العجم الذين قد لا يرضيهم هذا الكلام.. ولكن ما عساي أقول لهم.. هذا هو الدين.. ولا ينبغي لعقولنا أن تتدخل فيما يقوله الدين وإلا حق علينا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]

قام رجل من الحضور، وقال: انظر ما تقول يا شيخ.. أنت الآن تحطم أشياء كثيرة كنا نعتقدها من بديهيات الدين ومبادئه.. لعل ما تقوله رأي انفرد به بعض الفقهاء.. فلا توجب علينا الالتزام به.

غضب النجدي، وقال: ويلك.. أقول لك (شيخ الإسلام).. وتقول لي بعض

الفقهاء.. لو وقف شيخ الإسلام في صف وكل الفقهاء في صف لوقفت مع شيخ الإسلام.. لأن الحق يدور معه حيثما دار..

ومع ذلك فشيخ الإسلام نقل بتواضعه كلام الفقهاء في هذه المسألة، بل نقل إجماعهم فيها..

فتح الكتاب، ثم راح يقرأ: (ولهذا ذكر أبو محمد بن حرب بن إسماعيل بن خلف الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: (هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المعروفين بها المقتدى بهم فيها، وأدركت من أدركت من علماء أهل العراق والحجاز والشام وغيرهم عليها، فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة وسبيل الحق)

انظر ما يقول شيخ الإسلام.. لقد ذكر أن هذا (هو مذهب أحمد وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم. فكان من قولهم.. (ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها، ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ : (حب العرب إيمان، وبغضهم نفاق وكفر)[1])

قام الإمام، وقال: ولكن الحديث ضعيف.. فلم يروه إلا..

قاطعه النجدي، وقال: ويلك.. أأنت أعلم أم شيخ الإسلام.. ألا تعلم ما قاله بعض سلفنا الصالح من أن كل حديث لا يعرفه شيخ الإسلام، فليس بحديث.. لقد علق شيخ الإسلام على الحديث بقوله: (وهذا الإسناد وحده فيه نظر، لكن لعله روي من وجه آخر، وإنما كتبته لموافقته معنى حديث سلمان، فإنه قد صرح في حديث سلمان: بأن بغضهم نوع

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٤ / ٨٧).

كفر، ومقتضى ذلك: أن حبهم نوع إيمان، فكان هذا موافقا له)[1]

قام رجل كنت أراه دائما يدعو إلى نفس ما يدعو إليه الشيخ من القومية العربية، وراح يقول، والفرح باد على وجهه: شكرا يا شيخ.. لطالما كنت أنادي فيهم بهذا.. لكن للأسف وجود بعض الأعاجم في هذه البلاد جعلهم لا يلتفتون لكلامي.. فحدثنا عن بدعة الشعوبية..

قال النجدي: بورك فيك أخا العرب.. لقد سرني كلامك كثيرا.. لقد اعتبر شيخ الإسلام الشعوبية بدعة وضلالا.. بل قد تصل بصاحبها إلى الكفر.. لقد قال: (ولا نقول بقول الشعوبية وأرذال الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضلهم، فإن قولهم بدعة وخلاف)[2]

انظروا أيها الحاضرون كيف اعتبر شيخ الإسلام مجرد عدم محبة العرب وعدم الإقرار بفضلهم على سائر الناس بدعة وخلافا.

وصرح في موضع آخر بما أدل من هذا، فقال: (وذهبت فرقة من الناس إلى أن لا فضل لجنس العرب على جنس العجم. وهؤلاء يسمون الشعوبية لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل، كما قيل: (القبائل للعرب والشعوب للعجم)، ومن الناس من قد يفضل بعض أنواع العجم على العرب. والغالب أن مثل هذا الكلام لا يصدر إلا عن نوع نفاق، إما في الاعتقاد، وإما في العمل المنبعث عن هوى النفس مع شبهات اقتضت ذلك)[3]

بل إنه في موضع آخر صرح بما هو أشد من ذلك جميعا، فاعتبر أن مجرد بغض العرب

---

(1) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/ ٤٣٧).

(2) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/ ٤٢١).

(3) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/ ٤٢١)

كفر، فقال: (بغض جنس العرب ومعاداتهم كفر أو سبب لكفر)

بل اعتبر أن حبهم يزيد في الإيمان، فقال: (ومقتضاه أنهم أفضل من غيرهم وأن محبتهم سبب قوة الإيمان)

بل إنه دعا إلى تقسيم الأعطيات والأموال على الأمة بحسب أنسابهم، كما فعل السلف الصالح.. فيبدأ بالعرب، ويوفون نصيبهم من العطاء.. ثم بعد ذلك وبنصيب أقل يعطى العجم.. وقد كان ذلك ديدن الدول الإسلامية التي كان يحكمها العرب.. (هكذا كان الديوان على عهد الخلفاء الراشدين وسائر الخلفاء من بني أمية وولد العباس، إلى أن تغير الأمر بعد ذلك)[1]

قال القومي: فحدثنا عن حكم العجم للعرب.. هل تراه مرضيا في الشريعة؟

قال النجدي: بورك فيك.. هذا سؤال مهم جدا.. فمن البدع الحادثة، والتي خربت الأمة الإسلامية حكم العجم من الفرس والكرد والأمازيغ والترك للعرب.. لقد قال المتنبي يذكر خطورة حكم العجم للعرب:

وإنّما الناس بالملوك وما تفلح عُربٌ ملوكها عجم

لا أدبٌ عندهم ولا حسب ولا عهودٌ لهم ولا ذمم

والتاريخ يشهد عجز العجم عن حكم العرب بشكل جيد إلا في النادر.. وأحسن دولة لهم كانت دولة المماليك. كان في أقوى قوتها في أول عهدها زمن بيبرس، ثم لم تلبث أن ضعفت لأن حكامها ما أرادوا الاعتماد على العرب في الجيش، وإنما استقدموا العبيد ليدربوهم على القتال، خوفاً من انقلاب العرب عليهم. وهذا دوماً كان مصدر ضعف لهم. ثم لم يعد يكفي العبيد الأتراك فجاءوا بالعبيد الشركس فانقلبوا عليهم، ثم هؤلاء بدورهم

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ١/ ٤٤٦)

أصابهم الضعف لنفس السبب حتى انهارت الدولة.. فسبب الضعف أنهم دوماً أقلية لا يريدون الاعتماد على العرب. أما العثمانيون فهم مثال على الفشل الذريع في حكم العرب. وكانت دولتهم أقوى قبل أن يحكموا بلاد العرب لأن جيشهم توزع على بلاد شاسعة، مع رفضهم في نفس الوقت الاعتماد على العرب في مناصب قيادية.

قام القومي فرحا يكاد يرقص من فرحه، وراح يقول: فحدثنا عن الطاقات التي اختص الله بها العرب دون غيرهم من الأجناس حتى يستحقوا أن ينالوا كل هذه الفضائل.

قال النجدي: بورك فيك وفي سؤالك..

ثم أخرج كتابا من محفظته، وقال: انظروا.. هذا الكتاب كتبه أحد تلاميذ شيخ الإسلام النجباء.. إن عنوانه (مسبوك الذهب، في فضل العرب، وشرف العلم على شرف النسب)، وهو للعلامة الجليل مرعي بن يوسف الحنبلي الكرمي.. اسمعوا ما يقول فيه..

فتح الكتاب، وراح يقرأ فيه: (.. وأما العقل الدال على فضل العرب: فقد ثبت بالتواتر المحسوس المشاهد أن العرب أكثر الناس سخاء، وكرما، وشجاعة، ومروءة، وشهامة، وبلاغة، وفصاحة. ولسانهم أتم الألسنة بيانا، وتمييزا للمعاني جمعا وفرقا بجمع المعاني الكثيرة في اللفظ القليل، إذا شاء المتكلم الجمع. ويميز بين كل لفظين مشتبهين بلفظ آخر مختصر، إلى غير ذلك من خصائص اللسان العربي.. ومن كان كذلك فالعقل قاض بفضله قطعا على من ليس كذلك، ولهم مكارم أخلاق محمودة لا تنحصر، غريزة في أنفسهم، وسجية لهم جبلوا عليها، لكن كانوا قبل الإسلام طبيعة قابلة للخير ليس عندهم علم منزل من السماء، ولا هم أيضا مشتغلون ببعض العلوم العقلية المحضة كالطب أو الحساب أو المنطق ونحوه. إنما علمهم ما سمحت به قرائحهم من الشعر والخطب أو ما حفظوه من أنسابهم وأيامهم، أو ما احتاجوا إليه في دنياهم من الأنواء والنجوم، أو الحروب، فلما بعث الله محمدا ﷺ بالهدى الذي ما جعل الله. في الأرض مثله تلقوه عنه بعد

مجاهدته الشديدة لهم، ومعالجتهم على نقلهم عن تلك العادات الجاهلية التي كانت قد أحالت قلوبهم عن فطرتها، فلما تلقوا عنه ذلك الهدى زالت تلك الريون عن قلوبهم واستنارت بهدي الله فأخذوا هذا الهدي العظيم بتلك الفطرة الجيدة فاجتمع لهم الكمال التام بالقوة المخلوقة فيهم، والهدى الذي أنزله عليهم)[1]

بقي النجدي يقرأ من كتاب الكرمي تارة، وكتاب ابن تيمية تارة أخرى.. والقومي ومن معه يكادون يرقصون فرحا.. وغيرهم يكادون يسقطون ألما.. وقد رأيت الوجوه التي كانت متآلفة متآخية بدأت تتغير.. وبدأت النفرة تبدو عليها.. ثم سرعان ما حصل بين بعض العرب وبعض العجم خلاف.. فصاح العربي بأعلى صوته: واعرباه.. وصاح العجمي: واقوماه..

ثم ما لبثت المشادة أن تحولت إلى حرب قاسية شديدة لم تقف إلا بتدخل الشرطة التي أخرجت أكثر من في القاعة من المتصارعين، وتركت الشيخ مشعل الفتنة يستمر في أداء دوره الشيطاني الخطير.

قام الإمام بعد ذهاب الشرطة، وقال: سمعنا أيها الشيخ أنك من نجد؟

قال النجدي: أجل.. أنا من نجد.. تلك البلاد التي أنقذ الله بها الإسلام.. تلك البلاد التي أنجبت جدي الشيخ محمد بن عبد الوهاب.. والشيخ عبد اللطيف.. والشيخ ابن إبراهيم.. وغيرهم من المشايخ الذين لولاهم لما بقي للسنة ذكر.

قال الإمام: فهل ورد في النصوص في فضلكم شيء؟

قال النجدي: كل ما ورد في النصوص من فضل العرب، فهو فينا.. فنحن أساس العرب وجذرها، ونحن شرف العرب وفخرها.

---

(١) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب (ص: ٤٠)

قال الإمام: لا.. ليس العقل فقط هو الذي يدل على فضلكم.. بل ورد في الحديث الصحيح ما يدل على ذلك..

قال النجدي: شكرا جزيلا.. هاته.. لم أكن أعلم بذلك.. لطالما كنت أقول في نفسي: يستحيل ألا يذكر رسول الله ﷺ في فضلنا شيء.

قال الإمام: لقد ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ : (اللهم بارك لنا في شامنا ، اللهم بارك لنا في يمننا)، فقالوا: وفي نجدنا يا رسول الله، قال رسول الله ﷺ: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا)، فقال الناس: وفي نجدنا يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: (الزلازل والفتن هناك: وهناك يطلع قرن الشيطان)[1]

غضب النجدي غضبا شديدا، وقال: أخرجوا هذا الرويبضة من هذا المجلس.. إنه جاهل وابن جاهل.. ألا يعلم أن شراح الحديث ذكروا أن المراد بنجد في هذا الحديث خصوصا العراق..

قام الإمام غضبا، وقال: ولكن ابن تيمية الذي هو شيخك وشيخ الإسلام الذي تدين به يذكر أن المراد بنجد هي البلاد التي جئت منها لتنشر الفتن.. لقد قال فيما ردَّ به على (تأسيس التقديس) للرازي: (قد تواتر عن النبي ﷺ إخباره بأن الفتنة ورأس الكفر من المشرق الذي هو مشرق مدينته كنجد وما يشرق عنها).. ثم ساق بعض الأحاديث الواردة في ذلك في الصحيحين وغيرهما إلى أن قال: (ولا ريب أن من هؤلاء ظهرت الردة وغيرها من الكفر، من جهة مسيلمة الكذاب وأتباعه وطليحة الأسدي وأتباعه، وسجاح وأتباعها، حتى قاتلهم أبو بكر الصديق ومن معه من المؤمنين، حتى قتل من قتل، وعاد إلى الإسلام

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما..

من عاد مؤمنا أو منافقا)[1]

قام رجل آخر، وقال: أليس النجد هو المرتفع؟

قال النجدي: بلى.. ولذلك فإنه يطلق على العراق أيضا.. وهذا ما ذكره الشراح.

قال الرجل: ولكن من خلال ما ذكره العلم الحديث فإن الرياض التي هي قاعدة نجد يبلغ ارتفاعها عن سطح الأرض ٦٣٥ مترًا. أما ارتفاع العراق التقريبي عن سطح البحر فلا يعدو (٣٤ مترًا).

قام النجدي من مكانه، ثم سار خارجا، وهو يقول: لقد قلت لهم لا ترسلوني للبلاد التي يختلط فيها العرب بالعجم.. إنها بلاد الكفر.. إنها بلاد النفاق..

كانت هذه آخر كلمات سمعناها معه، ولم نره بعدها.. لكنا ظللنا زمانا طويلا نكتوي بنار الفتنة التي أحدثها في بلادنا.. والتي راح ضحيتها بعد ذلك عشرات الرجال من خيرة أبناء مدينتنا.

---

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ج١ ص ١٧ - ٢٤.

خارطة الأحقاد

من صغري وأنا مولع بالخرائط بمختلف أنواعها: خرائط الدول والتضاريس والمناخ.. حتى الخرائط التاريخية أو الجيولوجية التي تصف الأرض في جميع مراحلها..

لكنه لم يكن يخطر على بالي أن يضع البشر في يوم من الأيام خريطة للأحقاد إلى أن جاء ذلك اليوم الذي استدعاني فيه صديق قديم لي لم أره منذ فترة طويلة.. وقد حدد لي مكانا لنلتقي فيه.. ومع غرابة المكان إلا أني ذهبت إليه، وبمفردي، لثقتي المطلقة في هذا الصديق القديم.

لكني ما إن وصلت إلى المكان المحدد حتى أحاطت بي مجموعة مسلحة، وهي تصوب سلاحها إلى جمجمتي.. فامتلأت رعبا، وتصورت أنهم مثل سائر قطاع الطرق، فصحت فيهم: فتشوا جيوبي وأمتعتي، وخذوا كل ما تريدون.. اتركوا لي فقط جمجمتي فإن فيها ما لا يمكن تعويضه بالنسبة لي، وهو لن يفيدكم شيئا.

ما قلت هذا حتى جاء صديقي، وصاح فيهم: اتركوا له جمجمته.. فنحن نريدها.. فأنا أعلم ما يخبئه فيها من أسرار.

التفت لصديقي، وقلت: أهذا أنت؟.. ألم نتفق على أن نلتقي هنا؟

قال: أجل.. وها نحن نلتقي..

قلت: ولكن لم تفعل بي هذا؟.. لم ترسل لي هذه المجموعة لتنشر الرعب في كل كياني؟ ما كنت أحسبك تحب التمثيل؟

ضحك بصوت عال، وقال: أي تمثيل هذا؟ ألا تزال في جنونك القديم؟

قلت: ولكن.. أتستقبل صديقك القديم بمثل هذا؟

قال: هذه عادتنا في استقبال من نحب.. فلا تقلق، فلن يصيبك منا أذى ما دمت لينا معنا.

ثم أردف يقول، وهو يربت على كتفي: ألا تزال جبانا كعهدي بك؟

قلت: لا أزال كما عهدتني.. لكني متعجب منك.. كيف صرت إلى هذه الحال التي أراك عليها؟

قال: أنت تعلم أني من صغري كنت أحب التدين.. وقد تأملت في أحوال المتدينين في قريتنا فلم أجد إلا الضلال والبدعة والكفر.. ولولا أن الله قيض لي من ينقذني لكنت الآن قبوريا أو معتزليا أو صوفيا أو شيعيا أو أشعريا.. أو غيرها من الملل والنحل التي ستشرف جهنم يوم القيامة.. وبئس المصير.

قلت: كيف تقول هذا.. إن هؤلاء جميعا مسلمون يعبدون الله ويوحدونه و..

قاطعني بقوة، وهو يشهر سلاحه في وجهي: تعسا لك.. لا أحد منهم يعبد الله.. المعتزلة كفار يعبدون عقولهم وأهواءهم.. والشيعة كفار؛ يعبدون علياً والحسين.. والصوفية كفار؛ يعبدون الجيلاني والرفاعي.. والأشاعرة كفار جهمية يعبدون الوهم، ويذكرون أن الله لا يد له ولا ساق ولا ضرس ولا حقو..

أردت أن أجاريه مخافة سلاحه، فقلت: ما دام الله قد أنالك من الهداية ما أنقذك به من تلك الضلالات.. فهلا سرت إليهم.. وجلست بينهم لتخرجهم من سراديب الكفر إلى نور الإيمان.

تنفس الصعداء، وقال: وكيف أفعل ذلك.. وقد حذر جميع أئمة سلفنا الصالح من محادثتهم أو محاورتهم أو مناظرتهم أو مناقشتهم.. بل حذرونا حتى من النظر إليهم حتى لا تنتقل إلينا ظلمات وجوههم.. واعتبروا كل من يبتسم لهم، أو يمد يده لمصافحتهم شريكا لهم في كفرهم وضلالهم.

قلت: إذن اتركوهم لحالهم..

غضب وأشهر سلاحه في وجهي، وهو يقول: لا تعد إلى هذا.. ليس لأولئك الكفرة

إلا السيف والقتل والذبح.. ألم يأت نبينا ﷺ بالذبح؟

غضبت عندما وصف رسول الله ﷺ بهذا، قلت: الذي أعرفه أن نبينا ﷺ جاء ليتمم مكارم الأخلاق، ولم يأت بما تزعمه.

قال: أرى فيك لوثة من لوثات الكفر.. لا تخف سأقلعها منك.. ولو بقلع جمجمتك.

تحسست رقبتي، وامتلأت رعبا من حديثه، لكني تجرأت، وقلت[1]: أخبرني: هل الشيعة والصوفية وغيرهم ممن ذكرت أسوأ أم المنافقين في عهد النبي ﷺ أم أقل سوءا؟

قال: الشيعة والصوفية وغيرهم ممن ذكرت أسوأ من المنافقين.

قلت: فأين مكانهم يوم القيامة.. هل هو مع المنافقين؟ أم مع من هم شر منهم؟

قال: ما داموا أكثر ضلالا من المنافقين فهم في المحل الذي يكون فيه هؤلاء؟

قلت: ولكن الله تعالى ذكر محل المنافقين، فقال: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، وليس هناك أسفل من الدرك الأسفل، لأن الأسفل على صيغة أفعل..

لم يجد ما يجيبني به، فأطمعني ذلك، فرحت أقول بكل جرأة: إن قلت: أنهم في الدرك الأسفل من النار، فهم من المنافقين، وليسوا أسوأ منهم.. وإن قلت: إنهم في درك أعلى، فهم أحسن حالا من المنافقين.. وإن قلت: إنهم في درك أسفل من درك المنافقين تكون قد خالفت القرآن الكريم الذي اعتبر درك المنافقين هو أسفل الدركات.

صوب النظر إلي جيدا، ثم قال: أنت تعلم أني لا أطيق هذه الترهات التي تنطق بها.. لكن ما الذي تريده من قولك هذا؟

قلت: لا بأس.. فقط أردت أن أسألك عن سنة النبي ﷺ في التعامل مع المنافقين الذين لا يقلون عمن ذكرت.. فهل ذبحهم رسول الله ﷺ أو سجنهم أو مثل بهم؟

---

(١) استفدت في هذا الحوار من بعض تغريدات الشيخ حسن بن فرحان المالكي على تويتر، وهي موجودة على موقعه.

قال: لم يفعل شيئا من ذلك..

قلت: لو لم تقل هذا لكنت كذبت على رسول الله ﷺ فقد ورد في الحديث عن جابر بن عبد الله قال: كانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ، ثم كثر المهاجرون بعد ، فقال عبد الله بن أبي : أو قد فعلوا ، والله ، لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر: دعني ، يا رسول الله، أضرب عنق هذا المنافق ، فقال النبي ﷺ: دعه ، لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه[1].

قال: ما الذي تريده من نقلك لهذا الحديث ؟

قلت: أريدك وأصحابك أن تستنوا بسنة رسول الله ﷺ في التعامل مع المنافقين، لأنكم إذا قلتم بأن الشيعة والصوفية وغيرهم أسوأ من المنافقين؛ فمعناه أن الله لم يكمل دركات النار؛ ويحتاجون دركاً أسفل من الدرك الأسفل؛ وهذا قول يخرجكم من الملة.. وإن قلتم: إن الشيعة والصوفية سيكونون مع المنافقين في الدرك الأسفل، فيلزمكم أن تعطوهم من الحقوق ما أعطاه النبي ﷺ للمنافقين، فلا تقتلوهم، ولا تذبحوهم، ولا تفعلوا بهم شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ، لأنكم لستم أحرص على الدين من رسول الله ﷺ.

قال: لا، لن نرضى أن نسير في الشيعة والصوفية بسيرة النبي في المنافقين.. فليس لهم عندنا إلا الذبح.

قلت: : لماذا؟ هل أنتم أكثر تقوى؛ أم أحرص على دين الله من رسول الله ﷺ ؟

قال: معاذ الله أن ندعي هذا، ولكن الشيعة والصوفية يجاهرون بالكفر، وكان المنافقون يسرون الكفر!

قلت: ومن الذي قال لكم هذا؟ ألم تقرؤوا قول الله تعالى: (﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ (٦٤) وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ

---

(١) مسند أحمد، (٣/ ٣٣٨).

لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٤، ٦٥]، فالآية الكريمة تدل على أن هؤلاء جهروا بالكفر، ومع ذلك لم يعاقبهم؟

قال: لا.. لقد ذكر أنه عاقبهم.. ألم تقرأ قوله تعالى في الآية بعدها: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]

قلت: ولكن هذه الآية الكريمة تنص على العقوبة الأخروية، ولا علاقة لها بالعقوبة الدنيوية، بدليل أن رسول الله ﷺ لم يعاقب المنافقين.

لم يجد ما يجيبني به، فأطمعني ذلك فيه، فقلت: أنا أعرف أنك تحفظ القرآن الكريم من صغرك الباكر.

قال: أجل.. لقد حفظته قبل أن يصل سني إلى العاشرة.. ولا أزال أحفظه.. وقد أهلني ذلك لأن أصير أميرا على هذه الجماعة المجاهدة.. وأنا لا أحفظه فقط، بل أحفظ كل ما ذكر قتادة وعكرمة ومقاتل بن سليمان وغيرهم من سلفنا الصالح في كل حرف من حروفه أو كلمة من كلماته.

قلت: ما دمت كذلك، فما قالوا في قوله تعالى: ﴿ ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨ - ٩٢] من هؤلاء الذين قالوا هذا القول العظيم الذي تتفطر له السموات؟

قال: إنهم النصارى بلا خلاف بين المفسرين.. وقد قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ومالك في قوله تعالى: ﴿ شَيْئًا إِدًّا ﴾ أي عظيما[1].

قلت: جيدا جدا.. فقد قال النصارى – حسب الآيات الكريمة – قولا عظيما لا يقل

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٥).

عن قول هؤلاء الذين تريد أن تذبحهم.

قال: هم متساوون.. فالكفر ملة واحدة.

قلت: لا بأس.. ما داموا متساوين.. فلنستن بهم بما أمر الله تعالى به في شأن النصارى غير المحاربين، والذين ورد في حقهم وحق غيرهم من أصحاب الملل والنحل قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

لم يجد ما يقول إلا أنه أخذ بيدي، وقال: اتبعني.. فلم أدعك لتجادلني.. وإنما دعوتك لأمر أخطر من هذا.

سار بي في سراديب مظلمة إلى أن دخلنا إلى غرفة وجدت فيها الكثير من الخرائط.. فتعجبت من وجودها عندهم، فقلت: ما هذه الخرائط.. وما علاقتها بجماعتكم؟

قال: لأجل هذه الخرائط دعوتك.. فأنا أعلم شغفك بها من صغرك.

قلت: أجل.. ولكن ما نوعها: هل هي خرائط مناخ أم تضاريس.. أم هي خرائط جيولوجية أم سياسية؟

قال: وما نريد نحن بما ذكرت.. هذه خرائط الضلال والبدعة..

قلت: لم أسمع بخريطة من هذا النوع من قبل.

قال: فتعال لتنظر إليها..

تقدمت، فرأيت خرائط مفصلة عن كل مكان والعقائد التي تنتشر فيه، فبعضها صوفية، وبعضها شيعية، وبعضها أشاعرة، وبعضها ماتريدية.. وهكذا.

قلت: ما قصدكم بهذا التنصيف للناس وللأماكن.

قال: لكل مكان العقوبة المناسبة له.. فبعضها نكتفي بإرهابه، وبعضها نخوض في دمائه.

مددت يدي على مكان مكتوب عليه باللون الأحمر (صوفية)، وقلت: فما الذي تعملونه مع هؤلاء؟

قال: ألا ترى اللون الأحمر.. هؤلاء تسفك الدماء.. فهم حلوليون قبوريون وثنيون..

مددت يدي إلى مكان آخر مكتوب عليه بلون أحمر شديد القتامة (شيعة روافض)، وقلت: وهؤلاء أصحاب اللون الأحمر القاتم.

قال: هؤلاء أخطر من السابقين.. وهم يستحقون الإبادة التامة لصغارهم وكبارهم.

قلت: لم؟

قال: لأنهم شيعة روافض.

قلت: فما جريمتهم؟

قال: سب الصحابة..

قلت: ولكن ألا ترى أنكم تبالغون كثيرا في هذا.. لقد ذكر الله تعالى الذين يسبونه، ومع ذلك لم يلونهم باللون الذي تلونون به من هم أدنى منهم شأنا، وأقل منهم جرما.. ألم تسمع بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٨]

قال: لقد عدت إلى الجدل من جديد.. لقد ذكرت لك أني لم أدعك لأجادلك أو تجادلني.. وإنما دعوتك لأمر مهم.

قلت: وما هو؟

قال: هذه الخرائط هي التي دعتك.

قلت: وما الذي أفعله بها أو لها؟

قال: لقد كان يشرف على هذه الخرائط، ويرسمها بدقة رجل منا.. لكنه ارتد قبل

أيام، والتحق بجماعة أخرى، فبقيت هذه الخرائط ناقصة تحتاج من يكملها، ولهذا طلبتك لتؤدي هذا الدور.

قلت: أراها جاهزة، فما الذي تريد أن تضيف إليها؟

قال: أريدك ألا تدع ضريحا أو زاوية أو حسينية أو كنيسة أو أي محل من المحلات التي تعبد فيها الأصنام إلا وبينت لنا محله بدقة حتى نقوم بما يجب علينا نحوه.

امتلأت رعبا مما طرح علي، فقلت: وإن لم أفعل.. فما جزائي؟

استل خنجرا حادا، ووضعه على رقبتي، وهو يقول: إن لم تفعل.. فسيقطع هذا الخنجر رقبتك.. أنت تعرف أننا لا نتسامح مع من يخالف الشريعة.

ما قال هذا حتى سمعنا ضجة في الخارج، فأسرع إليها، وتركني فاختبأت في بعض تلك السراديب، وأنا ممتلئ رعبا لما أسمعه من صوت للرصاص في كل ناحية.. وقد تعجبت إذ لم يأت أحد ليبحث عني.

وبعد أيام، وبعد أن كاد يقضي علي الجوع، خرجت فشممت روائح منتنة لجثث كثيرة، كان من بينها جثة صديقي الذي أراد قتلي.

وقد علمت بعد ذلك أن جماعة مسلحة أخرى اختلفت مع تلك الجماعة في حكم المرتد: هل يكتفى بقتله بأي طريقة، أم لابد أن يشدد في ذلك، فيذبح أو يحرق أو يرمى من شاهق؟

وقد كفرت كل جماعة من تينك الجماعتين الأخرى، وقاتلتها وقتلتها.. وقد أنجاني الله بسبب ذلك من أن أكون شريكا لهم في وضع خرائط الأحقاد.

الإسلاميون.. وصناعة الإسلامفوبيا

من الصناعات الكبرى التي يجيدها بعض الدعاة أو أكثر الدعاة إلى الدرجة التي لم يفلح الصينيون والأمريكيون والألمان في تقليدهم فيها صناعة الفوبيا من الإسلام.

لقد صارت الفوبيا شعارا رسميا خاصا بأولئك الأجلاف الغلاظ أصحاب الأشداق العريضة والألسن الطويلة.. الذين تتسابق القنوات الفضائية في استقبالهم لتتمتع بغبائهم، وبقدرتهم على إدراة التوحش والعنف، أو لإعطاء صورة للإنسان البدائي المتأثر بأخلاق النمور والحمير والسباع.

لست متجنيا في هذا، وليتني كنت متجنيا.. وسأقص عليكم قصة لا أعتبرها دليلا على ما أقول.. ولكنها شاهد بسيط من آلاف الشواهد على مدى الإجرام الذي يمارسه أولئك الدجالون باسم الإسلام.

كنت قبل سنوات أسير في بعض الشوارع الأوروبية الجميلة والنظيفة، مع صديق لي من أهلها ممن تستهويهم اللغة العربية، ويستهويهم أدبها، ويستهويهم قبل ذلك القرآن الكريم لبلاغته المعجزة، وللقيم السامية التي يحملها.

لست أدري كيف قلت له من حيث لا أشعر: أراك تعظم القرآن الكريم، وتبهرك القيم النبيلة التي يدعو إليها إلى الدرجة التي تفضله فيها على كتابك المقدس.

قال: هذا صحيح.. أنت لم تعدو الواقع الذي أعيشه.

قلت: ولكن ما الذي يمنعك من الإسلام؟

أطرق إطراقة طويلة، ثم قال: لسبب بسيط.. هو أني أخاف من الإسلام.. أنا مصاب كسائر الناس الذين تراهم بالإسلامفوبيا.

قلت: يمكن لسائر الناس أن يصاب بهذا المرض ما عداك.. فأنت تعرف القرآن.. بل تعشقه.. ويستحيل على من عرف القرآن أن يصاب بالإسلامفوبيا.

قال: لست أدري ما أقول لك.. ولكني لا أرى القرآن كتابا للمسلمين الذين أراهم.. هم أبعد الناس عن القرآن.. اسمع جيدا كيف يصف القرآن المسلم عند ذكره لعباد الرحمن.. إنهم يمشون على الأرض هونا.. إنهم يخاطبون الجميع بالسلام.. إنهم..

قاطعته: وهكذا المسلمون؟

قال: لست أدري ما أقول لك..

ما وصلنا من حديثنا إلى هذا الموضع حتى مررنا على مركز إسلامي، ورأينا الناس يقصدونه لسماع محاضرة يلقيها بعض المشايخ الكبار الذين قدموا من البلاد التي يسمونها بلاد الحرمين..

كانت الوفود تتقاطر على المركز لسماع ذلك الداعية الكبير الذي جاء من الأرض التي نزلت فيها آخر رسائل السماء.

ألححت على صاحبي أن يدخل معي لنستمع لها.. فلم يجد إلا أن يفعل، وليته ما فعل.

جلسنا في الصف الأخير.. ورحنا نتابع ما يحدث:

تقدم بعضهم، وأظنه رئيس المركز، وقال: لقد تشرف مركزنا اليوم بزيارة الداعية الكبير الذي ولد في بلاد الحرمين، ونهل من مناهلها العذبة الصافية التي لم تتكدر بما تكدرت به سائر المناهل.. محاضرنا الكبير لم يتخرج على يديه الدعاة فقط.. بل تخرج الكثير من المجاهدين في سبيل الله الذين رفعوا راية الإسلام خفاقة في جميع أنحاء الأرض.. لن أطيل عليكم سيتقدم بالحديث.. وقبل ذلك نفتتح بدعوة بعض من هداهم الله من أهل هذه البلاد إلى الإسلام لينطقوا بالشهادة بين يديه..

بعد انتهاء تقديمه تقدمت بعض الوجوه الشابة ذوي الملامح الأوروبية، وصافحوه واحدا واحدا، وهو يلقنهم الشهادة.. وبمجرد أن ينطقوا بها يسألهم عن أسمائهم ثم يغيرها

لأسماء وكنى عربية.. وبقدرة قادر تحول جورج إلى أبي القعقاع.. وتحول أندرو إلى أبي الوليد.. وتحول ديفيد إلى أبي سليمان.. وهكذا استطاع أن يسلبهم في طرقة عين أسماءهم التي ولدوا بها، وعرفهم الناس من خلالها.

بعد أن قام بكل ذلك في أوساط تكبيرات عالية كانت تضج بها القاعة كل حين بدأ المحاضر الكبير محاضرته.. وليته ما بدأ.

حملق في وجوه الحاضرين بنظرة ممتلئة بالكبرياء والعزة، وراح يقول: بمجرد دخولي إلى هذه البلاد تذكرت رجلا كبيرا من رجال الإسلام استطاعت خيولة وجيوشه أن تطأ هذه الأرض وأن تملأها بدماء المسيحيين الصليبيين الكافرين.. إنه ذلك الذي حاول الكفرة تشويه شخصيته فحولوه من البطل الهمام إلى زير نساء.. إنكم لا شك تعرفونه.. إنه السلطان العثماني العظيم سليمان القانوني.. سأحدثكم في هذه المحاضرة عنه.. سأذكر لكم في هذه المحاضرة [القصة الحقيقية للسلطان العثماني سليمان وليس كما حرفها الكفار وجعلوا مسلسل حريم السلطان هي الرواية][1]..

إنه أكثر سلاطين المسلمين جهاداً وغزواً في أوروبا.. حيث وصلت جيوش المسلمين في عهده الى قلب أوروبا عند أسوار فيينا مرتين!!

إنه مجدد جهاد الأمة فى القرن العاشر.. فقد أقام السنّة، وأحيا الملّة، وقمع البدعة والروافض..

إنه صاحب انتصار المسلمين في معركة موهاكس التى كانت من أيام الله الخالدة، وتُعد غرة المعارك الإسلامية فى شرق أوروبا بعد فتح القسطنطينية.

إنه أعظم سلاطين الدولة العثمانية وأكثرهم هيبة ورهبة فى قلوب النصارى وأشدهم خطرا عليهم.. وكان من خيار ملوك الأرض !!

(١) هذا هو عنوان مقال بشبكة الدفاع عن السنة.

لقد حكم المسلمين قرابة ثمانية وأربعين سنة وامتدت دولة الخلافة الاسلامية في عهده في ثلاث قارات وأصبحت القوة العظمى في العالم بأسره بلا منازع وتمتلك أعتى الجيوش والأسلحة وصاحبة السيادة في البحار والمحيطات !!

لقد قال المؤرخ الألماني هالمر عنه: كان هذا السلطان أشد خطرا علينا من صلاح الدين نفسه!!

وقال المؤرخ الانجليزي هارولد: إن يوم موته كان من أيام أعياد النصارى!!

منذ تولى السلطان سليمان القانوني الخلافة لم يركن الى الدعة والراحة، بل لبس لامة الحرب من أول يوم وظل مجاهدا الى آخر يوم في عمره، وما ترك الجهاد قط.. ما كان ينزل من على صهوة جواده إلا ليمتطي جوادا آخر ليمضي مجاهدا في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله!!

ولا عجب من ان معظم الحديث عن السلطان سليمان القانوني سيكون عن جهاده – لأنه لا يوجد جانب أعظم ولا أروع في سيرة السلطان سليمان إلا جهاده ضد المشركين فى أوروبا وفتوحاته المجيدة!!

قال ذلك، ثم التفت للحضور، وقال: هل يوجد منكم معشر الحضور من يعرف المجر؟

رفع بعض الجدد الذين اعتنقوا الإسلام يده، وقال: هي بلادي التي ولدت فيها، وأهلي لا يزالون فيها.

قال: سأحدثك عن بعض أمجاد سليمان القانوني التي حققها في دولة آبائك وأجدادك.

عندما جلس السلطان سليمان القانوني على كرسي الخلافة كان أول ما فعله هو إرسال رسالة الى ملوك أوروبا يُعلمهم بتوليه الخلافة ويأمرهم بدفع الجزية المقررة عليهم

كما كانوا يفعلون في عهد أبيه السلطان سليم الأول.. فما كان من ملك المجر إلا أن قتل رسول السلطان سليمان.. فاستشاط السلطان سليمان غضبا وانفعل قائلا : أيُقتل سفير دولة الإسلام !!!.. أيهددنى ملك المجر !!

فما أصبح الصباح إلا وقد أعدّ السلطان سليمان جيشا جرار مدعوما بالسفن الحربية، وكان السلطان سليمان بنفسه على رأس هذا الجيش وكان قاصدا مدينة بلجراد المنيعة والتى تُعد بوابة أوروبا الوسطى وحصن المسيحية كما كانوا يطلقون عليها !!

توجه السلطان سليمان على رأس جيش عرمرم مكوّن من كتائب الإنكشارية الذين ما ان يسمع النصارى في أوروبا باسمهم يأخذ الرعب منهم كل مأخذ وترتعد فرائصهم.

وبالفعل يبدأ السلطان في حصار قلعة بلجراد، وبعد شهرين ونصف من الحصار تسقط قلعة بلجراد، ثم دخل السلطان سليمان القانونى المدينة نفسها فاتحاً.

ومن يومها سمّى المسلمون بلجراد (دار الجهاد) وكان منها القاعدة الحربية لانطلاق جيوش المسلمين لغزو باقى أوروبا.

لقد ظل السلطان سليمان القانونى فى بلجراد حتى عيد الفطر وأقام صلاة العيد فى أكبر كنائسها بعد تحويله الى مسجد.. ولم ينزل السلطان سليمان من جواده حتى امتطى جوادا آخر مجاهدا فى سبيل الله رافعا كلمة الله خفاقة...

قال ذلك، ثم وقف وصار يصرخ بقوة في وجه الحضور المنبهرين: مَن مِن المسلمين الآن يعرف شيئاً عن بلجراد الإسلامية.. لقد ضاعت كما ضاعت الأندلس.. فهل من سليمان جديد يعيدها إلى حضيرة الإسلام، ويرفع الآذان على قلاعها، ويحول كنائسها إلى مساجد؟

قال ذلك، ثم جلس، واسترجع أنفاسه، ثم التفت إلى المجري الذي اعتنق الإسلام، وقال له: إذا قدّر الله وذهبت يوما إلى بلدك، فأنصحك ألا تذكر اسم السلطان سليمان

القانوني، ولا اسم معركة موهاكس أبدا!!

فإلى الآن يوجد مثّل شعبى فى المجر يتناوله أهلها اذا حدث أمر سيىء فيقول : أسوأ من هزيمتنا بموهاكس!! وبعض الكتّاب ذكر أن هذه المعركة هي التى أدخلت الرعب على أوروبا !!

يالله.. الى هذا الحد !!

والله يا إخوة أصابنى الكمد والحزن والغمّ والهمّ كلما سألت أحد الشباب عن موهاكس أو عن السلطان سليمان، ولا يكاد يعرف شيئا!

يروي المؤرخون الأوروبيون هذه المعركة بشيىء من الذهول، وعندما يصلون الى هذه النقطة يصيبهم الدهشة والعجب!!

يا إخوة يُروى ان مدافع المسلمين أُطلقت بسرعة ومهارة فائقة للغاية وكأن المسلمين استعانوا بالجن فى هذا الأمر، ولا عجب أن يكون هذا حال من استعان بالله واستمد قوته من الله!!

كان إطلاق المدافع بصورة سريعة جدا وبدقة كبيرة مما أصاب الجيش المجري بحالة من الذهول والهلع والرعب، فولوا أدبارهم، والمسلمون وراءهم يركبون أذنابهم ويضعون سيفهم فيهم كما أرادوا..

وفرّ المجريون المعروفون ببسالتهم وضراوتهم أمام طلقات المسلمين وسيوفهم.. وفرّ ملكهم لويس الثاني.. بل إنه غرق أثناء فراره ومات!!

وانتصر المسلمون انتصارا لم يُسمع بمثله فى أقطار الدنيا.. وكان نصراً مؤزرا.. ولله الحمد والمنة..

والعجيب يا إخوة أن مدة المعركة كانت ساعة ونصف فقط.. وكان قتلى المسلمين لم يتجاوز ١٥٠ شهيدا.. وعدد ما أسر المسلمين من الكفار ٢٥ ألفاً.. والباقى ١٧٥ ألفاً ما

بين قتيل وجريح!!

***

بقي المحاضر يعدد بطولات سليمان القانوني في أوروبا، وكان بين الحين والآخر يذكر الأرقام الكثيرة للضحايا الأوروبيين الذين سقطوا على يديه.. وكان كل من حوله يكبر فرحا ونشوة وسعادة.

فجأة التفت إلى صاحبي، فوجدته يبكي.. فسألته، فقال: إن هذا الذي تراه ومن حوله هم الخرسانة المسلحة التي تحول بيني وبين أن أنطق بما ظللت طول عمري أحلم أن أنطق به.. إن هؤلاء هم الحجاب الأعظم الذي يحول بيننا ـ معشر الأوروبيين ـ والإسلام.

قلت: ولكني رأيت كما رأيت معي أن هناك من تقدم واعتنق الإسلام بين يدي هذا الداعية.

فقال: للأسف.. أنا أعرفهم جيدا.. ويوشك أن تسمع عنهم ما يجعلك تتمنى لو أنهم بقوا على ما كانوا عليه.

قال ذلك، ثم طلب مني الانصراف..

لم أفهم في ذلك الحين ما قصده.. لكني بعد سنوات.. حصل لي من الندم ما توقعه مني.. فقد علمت أن أولئك الذين اعتنقوا الإسلام في ذلك اليوم قاموا ببعض العمليات الإرهابية في بعض مساجد المسلمين بتوجيه من جماعة من الجماعات المسلحة الكثيرة.. ولست أدري هل كان ذلك ثأرا لما فعله سليمان القانوني ببلادهم؟.. أم أنه كان إحياء للأمجاد المزعومة الملطخة بالدماء؟

هذا الكتاب

ورثة إبليس هم أولئك الذين زعموا لأنفسهم احتكار الدين.. بل احتكار الكتاب والسنة.. بل احتكار الله ورسوله.. وراحوا بكل ما لديهم من أدوات الحقد والكراهية التي ورثوها من إبليس يجلسون على عروشهم الشيطانية يصنفون الناس بحسب أهوائهم وأمزجتهم.. فيكفرون ويبدعون ويضللون.. ثم يفتون الفتاوى الخطيرة التي ملأت أنهار المسلمين دماء.. وحولت حياتهم دمارا وخرابا.

وبعبارة صريحة لا لبس فيها ولا غش، فإن [السلفية] هي هذه الطائفة التي اختارت لنفسها أن ترث كبرياء إبليس وعتوه طغيانه واحتقاره لغيره..

لأن إبليس وإن قال كلمته الخطيرة: أنا خير منه.. مرة واحدة.. فإن هؤلاء السلفية يرددونها كل يوم، وفي كل حين، ومع كل الناس.. بل إنهم لا يتعاملون مع العالم إلا من آفاق هذه الخيرية التي يزعمونها لأنفسهم.. فلذا تراهم يعاقبون مخالفيهم بالهجر والاحتقار والتكفير والتقتيل، كما تصور إبليس أنه عاقب آدم بعدم السجود له.